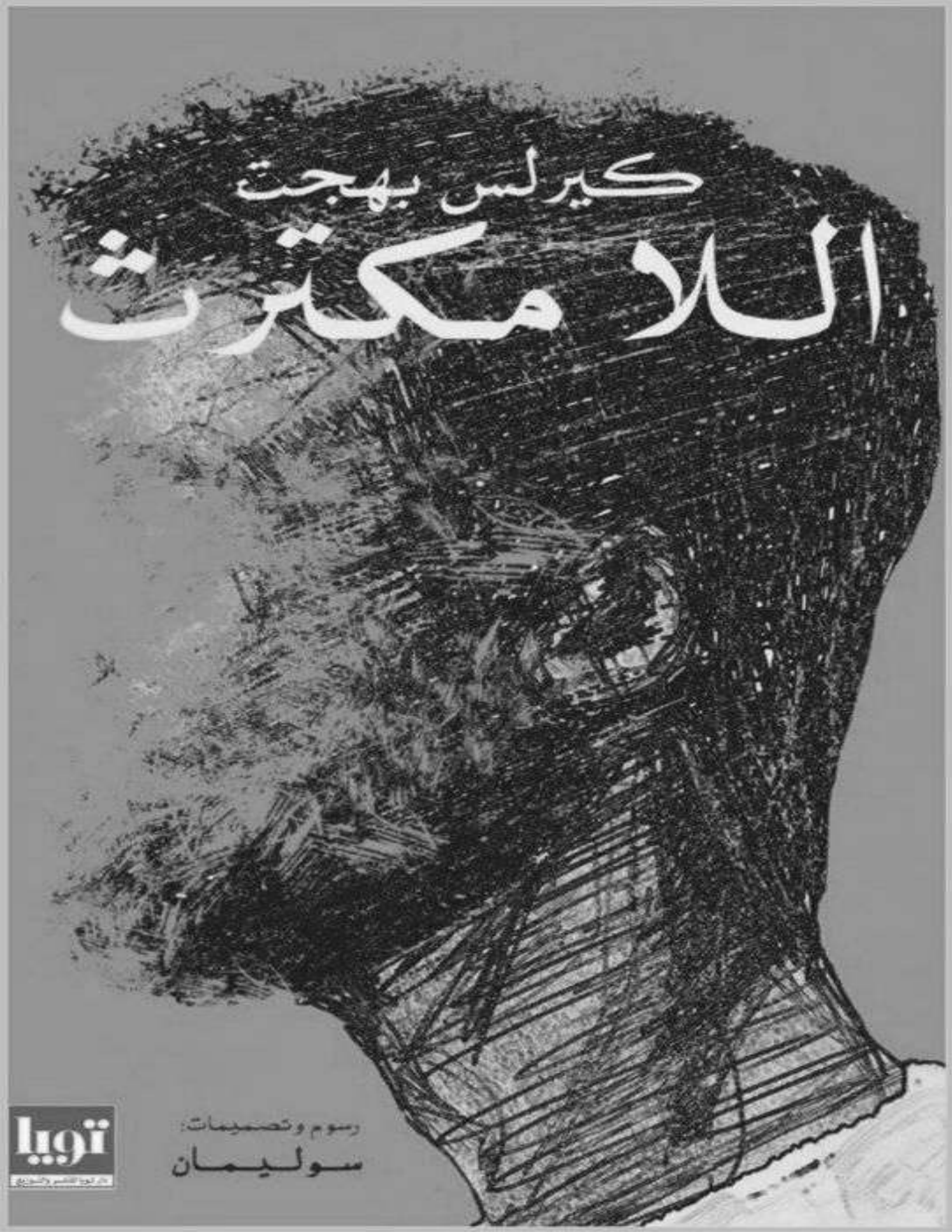
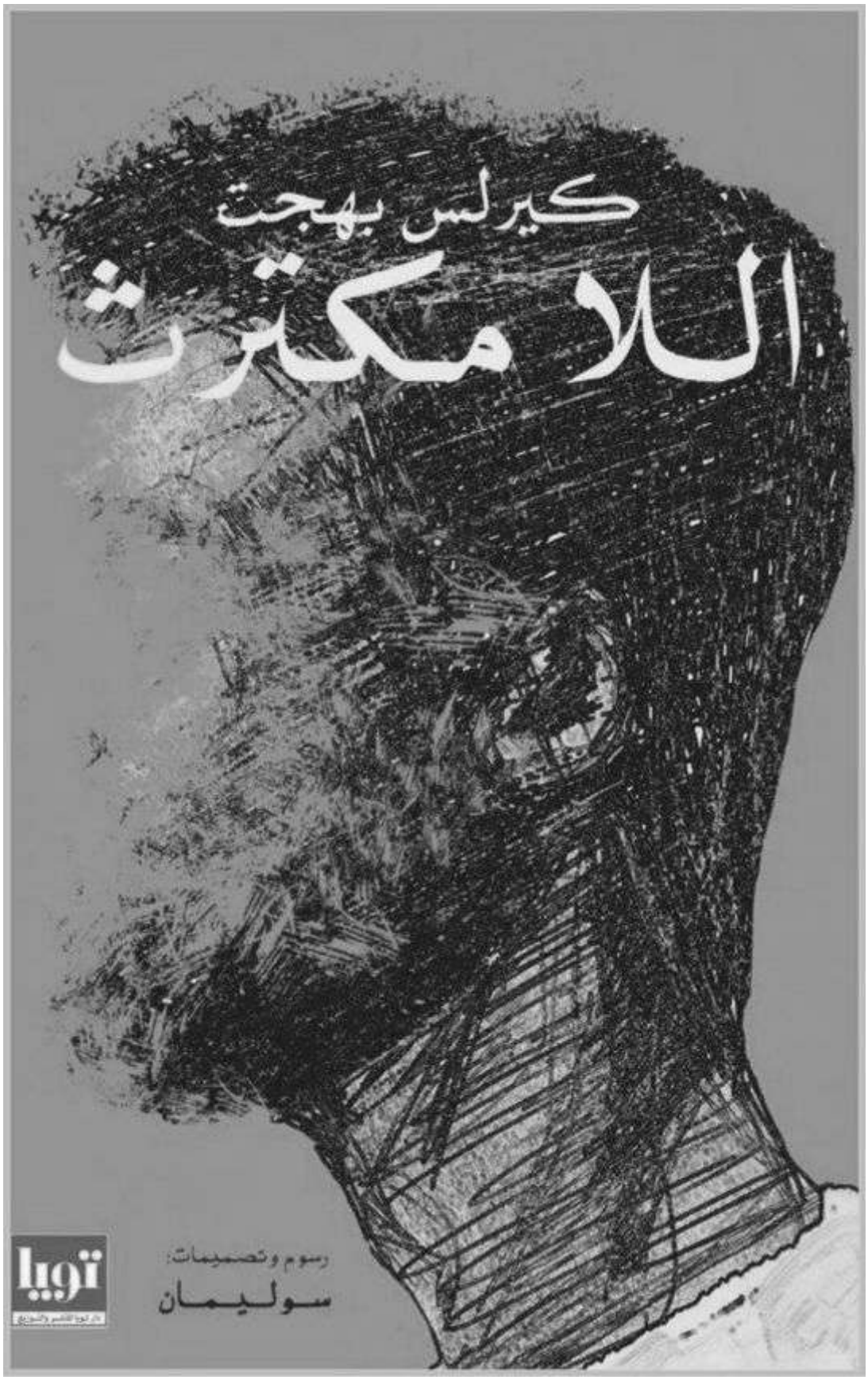
اللامكترث

كيرلس بهجت



رسوم وتصميمات:
سوليمان

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع



https://jadidpdf.com

اللا مكترث
Liberosist the

لقد بلغتُ من شدّة عدم اكتراثي أني تمنيتُ في النهاية أن أقبض على

دقيقة واحدة أحسُّ فيها أن شيئًا ما يستحقُ الاهتمام.

دوستويفسكي

يمكنم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية على موقع جديد بدف

https://jadidpdf.com

https://jadidpdf.com

الإهداء

لكل الذين يحتقرهم العالم.. و هم يحتقرونه بالمقابل.. لأن مثل هؤلاء لا

يمكن ترويضهم..

المقدمة

له الكثيرُ من المسميات؛ فقد أسماه "كولن ولسن" "اللا منتمي"،

"ألبير كامو" بـ "المتمرد"، "كارل يونج" بـ "الانطوائي"، حتى في

https://jadidpdf.com

الأدب "دوستويفسكي" أطلق عليه "الإنسان الصرصار".. والكثير من

الفلاسفة والمفكرين حاولوا أن يطلقوا عليه اسمًا مميزًا ليُعرَف به..

ولكنهم لم يستطيعوا حصرَ ذلك الكائن تحت مجرد اسم، وها أنا أدعوه

بـ"اللا مكترث".. فالقضية في نظري قضية "اكتراث" بالأساس.. ففور

اتخاذ هذا الإنسان المختلف قراره بعدم الالتفات للحماقات المادية، أو

الاهتمام بالرواسيب الحياتية، يتحول معها لمتمرد على الواقع

السطحي أو لا منتمي لهذا العالم البالي.. فجميعهم مهتمون بفلان،

حاضرون في مناسبة فلان، شغوفون بمعرفة أخبار فلان! جميعهم

منخرطون في أدق التفاصيل التافهة وأعمق الزوايا غير المثمرة، وكل

ذلك بسبب افتقادهم لحياة خاصة تستحق الاحترام والعناية.. فباتوا

https://jadidpdf.com

يعوثون في حيوات الآخرين تصيُّدًا وتجسُّسًا حتى أصبحوا فاقدي

الجوهر والصميم؛ فجميعهم نُسَخٌ مكررة منزوعة الكيان..! على عكس

هذا اللا مكترث، له اهتماماته الأكثر نُضجًا والأرقى مردودًا، له ذاته

المختلفة وحُلمه المستقل.. فبموت حب التطفل والفضول الصبياني

في قلبه يولد بداخله الإنسان الجديد بصفاته المتطورة.. تنقشع غيوم

المادة من سماء روحه ليتحرر من خوف الجسد وغربة النفس.. فيصبح

"اللا مكترث" ثم بعدها أي شيء آخر.. وهذا الكتاب محاولة بسيطة

لاقتحام هذا العالم الجديد.. عالم اللا مكترث..

https://jadidpdf.com

فمَن هو اللا مكترث؟

(إنني ربما لم أكن واثقًا مما يهمني حقيقة، ولكنني على تمام الثقة مما لا يهمني، وأن ما تحدثني عنه -هو بالتحديد- مما لا يهمني.) ألبير كامو

"اللا مكترث" هو ذلك الشخص اللا مبالي بأي أحداثٍ فرعية تدور من حوله، ولو كانت تتعلق به؛كرأي المجتمع بسلوكياته أو حتى نظرتهم المندهشة تجاهه؛ فقد وصل مع نفسه لنتيجة شِبه نهائية أنه لا فائدة من الانتباه، ولا عائد من التركيز.. فحتى وإن بدت الساحة السياسية كارثية، والأحوال المجتمعية أشبه بعواصف وأعاصير بالنسبة للبعض، فبالنسبة له المحصِّلة صفر!.. فعند وصولك لمرحلة اللا اكتراث ستجد نفسك غير مدفوع للتدخل في أي نقاشٍ أو حوارٍ سواءً كنتَ مدعوًا بصفة ودِّية أو حتى مدعوًا بأمرٍ رسميّ.. فأنت غير راغب في أي تفاعل، أو حتى في إثبات لأي شخص أنه مخطئ .. فليذهب الجميع إلى الجحيم هم وأفكارهم! فأنت لا تسعى لودٍّ وأيضًا لا تؤثر فيك كراهية.. قد يتهمك البعض بأنك سلبي أو فاقدٌ للوعي، والحقيقة المجردة أنك فقط قد قلَّلت أولويات اهتماماتك وحصرتها فيما يصبُّ في جوهرك وكيانك.. فقلبك يكاد يخرج من مكانه من شدة النبض بينما شكلك الخارجي يوحي بأنك غير مهتم.. ففي عدم الاكتراث نوعٌ من أنواع الحراك الهادئ.. كحارس بوابة، لا يمكن أن تغفل له عين، يراقب من يسمح له بالدخول ومن يطرده خارجًا، ولكن بلا ضجيج أو ضوضاء مزعجة.. فـ "اللا مكترث" كالمحارب في لحظات الصمت المقاوم بالسكون.. يصارع ليفوز بسلامه النفسي وصفائه الذهني.. فهدفك كـ"لا مكترث" هو تجنُّب أي مهاترات فارغة والهروب من مشاحنات لا نهاية لها؛ فهذا العمر أقصر من أنّ تعيشه مستمرًّا في المجاملات المتملقة، فتنصرف من وجوه الثرثارين والمملين حتى وإن كان انصرافك فجًّا ملحوظًا!!.. وإن خدعك أحدهم ستتركه يخدعك والابتسامة على وجهك، فتتلذذ بسطحيته المستشرية في كلماته وتصرفاته وكأنه طفل قد اكتشف أخيرًا أن ضوءَ الغرفة مصدره الزر المعلّق على الحائط! ستصل لقناعة شِبه تامة بأن ليس من مهامك الأساسية إصلاح الكون، بل دورك الحقيقي هو إصلاح نفسك.. ستجلس كثيرًا مع أحلامك وستصادق خيالاتك وأفكارك، لتكون أجمل لحظات عمرك هي التي تقضيها بعيدًا عن الناس.. ستتخلص من كل أعبائك الاجتماعية وضيقاتك المادية ليس بالحلول القاطعة، ولكن بعدم الاكتراث لها.. ربما سيتمكن الواقع من إثارة بعض القلاقل بك، ولكن لا تقلق.. ستنتصر طباع اللا مكترث بداخلك.. لتصبح إمبراطورًا؛ تشاهد

https://jadidpdf.com

الناس تنافق وتكذب وتطعن في بعضها الآخر من أجل تفاهات لا قيمة لها وتضحك عليهم من بعيد.. ستعرف أن حال الحياة بطبعه متقلّبٌ والذكي هو من يتمايل في مواجهة الأمواج؛ فالعقل العنيد والروح الصلبة يقتلان صاحبهما قبل أن يُدفَن، ولا شيء يستحق السعي إلا سعادتك أنت فقط، ليس سعادتهم أو نظرتهم أو حتى ما يمكن أن يدركوه أو يستشفوه عنك.. ففي النهاية أنت من ستبقى معك وليس أحد آخر.. فاللا مكترث لا يحاول حتى التصنُّع أو التكيُّف لينال الرضا أو القبول، فهو صاحب مبدأ فليكرهوني على ما أنا عليه بدلًا من أن يحبوني على ما أنا لست عليه!.. ومن أهم ما يميز اللا مكترث كصفات عامة سيتم التكلم عنها بصورة أعمق في هذا الكتاب:

1- منعزل:

الانعزال بالنسبة لهذا الشخص ضرورة حتمية! فهو لا يمانع الاختلاط مع الناس أو التعامل مع الأصدقاء والأقارب.. لكن راحته وسلامه النفسي لا يظهران إلا في لحظات السكون والانعزال، فتتملكه رغبة قوية للمكوث وحيدًا بالرغم من قُرب وازدحام من حوله.. لتكون متعته في أن يكون متواجدًا في أماكن لا يعرفه فيها أحدٌ.. يعشق الفن والموسيقى والتأمل، يقضي ساعات في الشوارع ليلًا وفي المكتبات، وعلى صفحات الإنترنت، ممتن لأي شيء يشجعه في استغنائه عن التواصل البشري! فكما يوجد عالم كامل حول هذا الشخص، يوجد أيضًا عالم أضخم وأوسع من الأفكار والأسرار والصراعات بداخله.. بداخله هو فقط! ليس من السهل أن يشرك أحدًا معه أو يسمح لأحدٍ أن يقتحمه.. فكما قال كاتبنا الساخر محمد عفيفي:

"في علاقتي بالآخرين.. أحب على الدوام أن يظلوا آخرين..!"

2- صادق:

أزمة هذا الزمن أنه تم إقناع الناس أن الهدف هو الكمال وليس الصدق! فأصبح مراد العامة هو المثالية والمقاييس المنضبطة وإن كانت مبنية على غش أو كذبٍ؛ فالحب المطلوب أصبح الحب القياسي المتعارف عليه في الأفلام والروايات، النمط السلوكي للفرد المطلوب سار النمط المقبول اجتماعيًّا ذا السمعة الطيبة والصورة المألوفة، حتى الأحلام والطموحات باتت المتقنة منعدمة الانحراف حتى وإن كانت غير متناسقة مع ذات الشخص أو لا تمثل حقيقة جوهره.. ولكن كل تلك التزيينات الأفلاطونية والتجميلات الاصطناعية لا تعني اللا مكترث في شيء.. فهو صادق لدرجة صادمة.. مسعاه الأبدي والوحيد هو الحقيقة وإن كانت معيوبة أو لا تسير على هواه.. فيعيش بصدقٍ مجرَّد من أي مساحيق أو أدوات تبرُّج؛ فلا يهدف أن يبرز حياته على

https://jadidpdf.com

وسائل التواصل الاجتماعي أو بين مجالس الأصدقاء كالحياة الخيالية منزوعة الأخطاء والزلات، بل يكفيه أن يحيا تلك الحياة المعوجة بكل صدقٍ وأمانة في وقت التصفيق للمظاهر والانبهارات السطحية.. ليصبح كما قال الكاتب الكبير إبراهيم أصلان:

"لا يجب أن تتحدث عن الحب، بل عليك أن تتحدث بحب، فكل النصابين يجيدون أحاديثَ الهوى.. ولا يجب أن تتحدث عن العدل، بل يجب عليك أن تتحدث بعدلٍ؛ لأنه لا يجيد الحديث عن العدل مثل الظالمين..!"

3 – متفرد الشعور:

جميعنا ندرك قيمة الأشياء بشكل متقارب، فهناك "بديهي" أو "سائد" لكن "اللا مكترث" لا يعترف بمثل هذا البديهي السائد بل يمقت تلك النظرة القامعة لأي متفاوت من الأساس! فهو يعاني من انحراف بسيط في إدراك قيمة الأشياء ولا يخجل من الإعلان بمثل هذا الانحراف.. حتى ذوقه في الموسيقى أو الفن أو الأدب.. ذوق مميز أو على أقل تقدير شاذ عن البقية.. تعامله مع الأوضاع المحيطة يكون بصورة غير معتادة أو نمطية.. لا يستطيع أن يصرّح بأنَّ في ذلك صواب لا ريب فيها ولا يسمح لأي فردٍ كان أن يُدخِل على عقله أحاسيس وإدركات لا تعبّر عنه.. فهو كيانٌ قائم بذاته مناهض لأي نسخة أخرى مصنوعة بضوابط المجتمع والناس.. فربما كما عبَّر عنها الكاتب "ضاري الشبيبي" في روايته "كنا سنتلقي":

"أشعرُ بانعدام الإحساس، تجاه الأشياء التي يفرحُ لها الآخرون ويلتقطون بجانبها الصورَ الكثيرة!"

4- يتألم:

جبران خليل جبران تكلم عن الألم وفقال:

"إن ما تشعرون به من الألم هو انكسار القشرة التي تغلف إدراككم! وكما أن القشرة الصلبة التي تحجب الثمرة يجب أن تتحطم حتى يبرز قلبها من ظُلمة الأرض إلى نور الشمس.. هكذا أنتم أيضًا.. يجب أن تحطم الآلام قشوركم قبل أن تعرفوا معنى الحياة؛ لأنكم لو استطعتم أن تعبروا عجائب حياتكم اليومية حقها من التأمل والدهشة لما كنتم ترون آلامكم أقل غرابة من أفراحكم.. أنتم مخيَّرون في الكثير من آلامكم.. وهذا الكثير من آلامكم هو الجرعة الشديدة، المرارة التي بواسطتها يَشفي الطبيب الحكيمَ الساهر في أعماقكم أسقام نفوسكم البشرية.."

فالألم هو نتاج الانعزال.. ونظرًا إلى أنه صادقٌ في إدراكه، فهو

https://jadidpdf.com

يلمس بروحه أقسى درجات الألم ويملأ بها خبايا ضميره ونفسه.. فتشكل لديه الإحساس المختلف والشعور المميَّز.. فتكون ولادته من جديد من رحم الألم.. ففي الوقت الذي يحاول الكل الهروب من الألم للاستمتاع براحة مزيفة مؤقتة، يكون "اللا مكترث" منغمسًا في نار الألم، يزيدها نقاءً من شوائب الواقع و الحياة.

5- لا يخشى الشك:

"قد تقضي عمرك وأنت تعتقد بأنك تدافع عن أفكارك،ثم تكتشف أنك في الحقيقة تدافع عن أفكارهم التي زرعوها في عقلك."
بيرتراند راسل

إن اليقين المطلَق هو وهمُ الأوهام! وحتى يستطيع الفرد أن يهدم جوهره القديم ليبني الإنسانَ الجديد، عليه أن يتحلى بقوة الشك وشجاعة التفكير.. فاللا مكترث لا يهاب الغوص في أعماق بحار الأسئلة، فجرأته العقلية تعنِّفه على الاحتماء بالجهل المطمئِن، على اختيار الحقيقة الصعبة.. فالهزيمة ليست في أن تقضي عمرك كله تحاول أن تجد الحق، ولكن في أن تقضي عمرك كله وأنت أجبن من الرغبة فيه.

صناعة اللا مكترث

يُقال إن أحد كبار العرب قديمًا قد صرَّح يومًا بأنه لم تغلبه في حياته إلا

https://jadidpdf.com

جارية! فكانت تحمل طبقًا مغطًّى، ولما سألها عما يحتويه الطبق ردت

بأنه لو كان ممسوحًا أن يعرف لما كان غُطي من الأساس.. فأحرجته..

والحكمة المقصودة من هذا المثل التراثي: أنَّ أي شيء مستور لا

تحاول أن تكشفه.. ومن هنا تنقشع فلسفة اللا اكتراث.. احترام كينونتك

من خلال وعي حدودك ومقاصد مطلبك.

ماذا إن كان هذا المُغطَّى قصة، حادثة أو حتى إنسانًا؟! فهل قتل

الرغبة في معرفة المعلومة يخلق نوعًا مقنعًا من الجهل والسلبية؟..

فلماذا لا نعرف وإن كان أحد أهداف الإنسان في الحياة هو أن يعرف؟!..

ولكن الطريق يجب أن يبدأ بمعرفة ما يجب معرفته.. الطريق يبدأ

بإدراك جوهر المعرفة.

https://jadidpdf.com

فأصل المعرفة هو لمحاولة الفرد للوصول لحكم مستنير على الأمور

وتحديد صواب للانفعال.. فنعرف حتى نستوعب، حتى نقرر، حتى

نكون!.. ورجوعنا للمثل السابق، فهل هذا العربي كان يضع في

احتمالات إجابة سؤاله أن يُقحِم على معرفته محتوى هذا الطبق

ليكون ضِمن كيان استيعابه وقراره؟!.. فالحقيقة أن العقل البشري

صاحب الإدراك المحدود، من الضروري أن يختار مواضع اهتمامه

بحرصٍ، ومراكز شغفه بكل دقة.. ولا يشعر بحرج في عدم الالتفات أو

الاكتراث لقضايا لن تعود عليه بنفعٍ أو ربحٍ.. بل عليه ألا يسقط ضحية

هذا المجتمع البائس الذي يجرّد الإنسان من ذاته ويفرغه من فحواه؛

فيجعله كمدمنٍ لاهثٍ وراء سُخفٍ وهُراءٍ!

https://jadidpdf.com

ومن أهم الأسئلة التي تطرح نفسها: ما الذي يصنع "اللا مكترث"؟

فهل الأصل الاكتراث؟ أم أننا جميعنا وُلِدنَا "لا مكترثين" والعالم أجبرنا

على طمس حقيقتنا؟! لماذا هذا مبالٍ ومهتمٌ، وذاك لا يحرّك ساكنًا

تجاه أي قضية أو موضوع؟!.. هل هي "جينات وراثية" أم شيء في

الهواء؟! هل التربية والخلفية الاجتماعية لها دور؟ هل هي نعمة من

عند الله أم لعنة يُبتلَى بها صاحبها؟!

هناك مرض نفسي مشهور في أوساط المجتمعات الطبية، وأيضًا غير

الطبية، وهو مرض الـ "schizophrenia " (الفصام) والذي يشمل العديد

من الأعراض السلوكية واللا مبالاة المرضية، الـ "pathological apathy

" تعتبر عرضًا أساسيًّا في هذا المرض، حيث يصاب المريض بنوعٍ

https://jadidpdf.com

عميقٍ من اللا مبالاة تجاه أهم الأحداث والقرارات في حياته، وإن كان

في أعظم صورها ألا يكون مهتمًا بحياته الشخصية، وذلك ما يدفع

أكثرهم للانتحار!!.. ولكن لا مبالاة اللا مكترث تختلف تمامًا عن اللا مبالاة

المرضية؛ فاللا مكترث هو من يسيطر على لا مبالاته، ويوظف لا اكتراثه

لخدمة حالته المزاجية والنفسية.. ففي اللا اكتراث قرار طوعًا تم

اللجوء إليه في اختيارٍ حُرٍّ متزنٍ، فقوة اللا مكترث تكمن في قراراته

السامية المفعمة بالشجاعة والنضوج كمثل شاب عاش سنين في

بيئة غير مناسبة له فقرر في وقتٍ ما أن يهجرها نظرًا لأن بقاءه يعود

عليه بالتعب والضرر، وبالرغم من أن عقله يمكن أن يقنعه بالبقاء أو

الصبر على ذلك الوضع المزري، إلا أنه بالعقلانية والمنطق أيضًا يختار

https://jadidpdf.com

الأفضل بالنسبة له ولو كان الأفضل بعد مداولات أن يبقى ويرفض

الهجرة!.. فهنا الاختيار جاء من أعماق الشاب بإرادة ناضجة دَفعَته

لاتخاذ هذا القرار ليس مجبرًا.. وهكذا يكون اللا مكترث.. هو اختيار.

(أشرس الأعداء ممن يمكنك أن تلتقي ستكون ذاتك دومًا، أنت الذي تتربص داخل الكهوف والغابات. وحيدًا تمضي على طريقك إلى نفسك! عبرك أنت ذاتك وعبر شياطينك السبع تمر طريقك. زنديقًا ستكون في عين نفسك، وساحرًا ومهرّجًا وعرَّافًا ومشكِّكًا ومدنِّسًا وشريرًا. ستريد أن تحرق نفسك في لهبك الخاص: كيف يمكنك أن تغدو جديدًا إن لم تتحول أولًا إلى رمادٍ؟).. "فريدريك نيتشه"

فصناعة اللا مكترث صناعة داخلية مبنية على قرارٍ ذاتيّ للّا مكترث نفسه، وإن كان هناك محفزات من الخارج.. فهو في الأساس التزام واعٍ يعتنقه اللا مكترث؛ إيمانًا منه بضرورة هذا الاعتناق.. وأهم تلك المحفزات التي سيتم مناقشتها بشكل أعمق (الجنون، الملل، الحرمان والخيبات المتتالية).. وكأنها أدوات تنحت في صميم فكر الفرد مبادئ لا اكتراثه، أدوات تساعده على الوصول لحقيقة وجوده.. وبالرغم من أن تلك المحفزات لربما تمر على كل الناس إلا أنها تطرق على باب اللا مكترث بالأخص لتكون بداية ولادته ومدخله لهذا العالم الجديد.. ففي الوقت الذي ينظر البعض لتلك المحفزات نظرة النفور والهروب، يستضيفها اللا مكترث بكل ترحاب لتسكن بداخله وتلهب روحه المتمردة بضراوة وقوة!

الجنون

https://jadidpdf.com

"هل تعلم ما هو شعور أن تكون مجنونًا؟! هو بمثابة صراع بين ما يقال لك عن نفسك وما تعرفه أنت عنها.." من فيلم (Unknown (2011

في رائعته (نهر الجنون) يحكي لنا "توفيق الحكيم" عن مملكة جرى بها نهرٌ ماؤه يسبِّب لمن يشربه الجنون.. فبدأ أهلها بالشرب حتى أصبحوا جميعهم مجانين، ولم يبقَ إلا الملك ووزيره لم يتحولا بعد، بقيا يتأملان حال الشعب في حسرة ودهشة.. ولكن مع مرور الوقت بدأ الملك يشعر أن الجنون أصبح هو السائد، هو المطلوب، هو عين العقل!.. لدرجة أنه قال:

"إذًا فمـن الجنــون ألّا أختـار الجنــون!".. فكان ما فعله الملك وقتها هو أن شرب من النهر بدافع مجاراة الواقع وليس فِعْل الصواب.

ففي تلك القصة الرمزية نرى أن هناك نوعين متضاربين من الجنون، الجنون الذي يحدث إذا شرب أهل المملكة من النهر والجنون الذي أشار له الملك في رفض هذا الجنون!!.. من أهم ما يميز اللا مكترث أنه يعي أن الوقوف على قدميه يمنحه مساحة صغيرة، ولكن الوقوف على مبادئه قد يمنحه العالم كله، صعبٌ على اللا مكترث أن يتخذ قرارًا بدافع مجاراة الواقع وهو قبلًا كان قد قرر عدم الاهتمام به! فالجنون في حياة اللا مكترث هو جنون رفض العالم المجنون.

فاللا اكتراثية في جوهرها هي الجنون العقلاني.. هي حكمة العالم الجديد.. هي الملجأ الذي يحمينا من فساد العالم وشر المجتمع.. هي أنك تبتعد ولكنك موجودٌ.. تغيب ولكنك حاضرٌ.. تبدع في عالمك الخاص وأنت مسجون في عالمهم العقيم.. فاللا اكتراثية كمصلٍ مؤلم يأخذه الفرد لتفادي وباء قادم.. وباء الجنون!!.. فكما صوَّرها الكاتب "ميلان كونديرا" بكل دقة فقال:

(تصوّر أنك صادفت مجنونًا وادّعى أمامك أنّه سمكة، وأننا جميعًا سمك. أتراك تجادله؟ أتراك تتعرى أمامه لتقنعه بأنك لا تملك زعانف؟ أتراك تقول له صراحة ما تفكر فيه؟ هيّا قُل لي! لو أنك قلت له الحقيقة فحسب، واقتصرت على إخباره برأيك الحقيقي فيه، فمعنى هذا أنك توافق على الخوض في نقاشٍ جادٍ مع مجنون، وأنّك أنت نفسك مجنونٌ كذلك. ينطبق هذا بالضبط على العالم الذي يحيط بنا؛ فإذا أصررتَ على أن تقول له الحقيقة بصراحة، فهذا معناه أنّك تأخذهُ على محمل الجدِّ. وأخْذُ شيءٍ غير جادٍ على محمل الجدّ معناه أننا نفقد كل جدّيتنا. فأنا مضطر للكذب لكي لا آخذ مجانين على محمل الجدّ، وكي

https://jadidpdf.com

لا أصاب أنا أيضًا بالجنون.)

فالذي أشقى من البقاء أعمى هو أن تكون المبصر الوحيد، ولكنك لا تستطيع فقأ عينيك لمجرد تجنُّب هذا الشقاء.. فيكون حلك هو عدم مخالطة العميان والبحث عن ما يستحق البصر.. فربما إن قلت لهم إنك ترى صورًا جميلة أو مناظر خلابة دون السواد القاتم عابوا عليك ونعتوك بالخلل والكذبِ؛ فهم لا يدركون أنهم يفتقرون للبصر، بل أنت من تفتقر للعمى.. فتُرهَق من كثرة محاولاتك لإقناعهم.. لتصبح غير مكترث بما يقتنعون؛ ففي النهاية، إدراكنا لا يغيّر من حقيقة النور أو الظلام.. فيرى من يرى وينكر من ينكر.. فالحقيقة لا تستمد ثباتها من مؤيديها، ولكنها هي الثبات الذي يصنع المؤيدين.

الحرمان

في عام 1845، نشرَ الكاتب الروسي "فيودور دوستويفسكي" أولى رواياته "المساكين"، وبمجرد نشر الرواية أصبح الشاب ذو الأعوام الأربعة والعشرين حديثَ المجتمع الروسي بأكمله، وفرضَ اسمه على ساحة الأدب، لكن الشاب لم يكن بعد قد ملأ خزان وعيه بالنضج الكافي كي يستثمر هذا النجاح بالشكل الأمثل، وما هي إلا فترة قصيرة حتى انجرف إلى محيط السياسة، وصار حاضرًا بقوة في المشهد الاشتراكي، وكان مِن أشد المؤيّدين لتحرير الفلاحين المملوكين إقطاعيًّا، ويشجّع على قيام ثورات للفلاحين.

وفي إبريل 1849 تم القبض على دوستويفسكي ومعه 23 عضوًا من زملائه في التنظيم، واقتيدوا إلى السجن للمحاكمة. مكث الأديب الشاب في السجن ثمانية أشهر قبل أن يوقظوه ذات صباح كي يسمع ومَن معه الأحكام الصادرة ضدهم، ولأن الأحكام في مِثل هذه القضايا لا تتجاوز الأشهر فقد بدا لهم أن المحنة ستنجلي قريبًا.

حملوهم في سيارة إلى إحدى ساحات موسكو، ووجدوا في منتصف الساحة منصّة إعدام مغطاة بقماش أسود، وحولها الآلاف جاءوا ليروْا تنفيذ الحُكم! لم يصدِّق دوستويفسكي عينيه، هل مِن المعقول أن يتم تنفيذ حُكم الإعدام فيه وفي مَن معه؟ إنه أمرٌ لم يخطر أبدًا على ذهن أكثرهم تشاؤما!

وبعد لحظات مِن الانتظار الثقيل، جاء الضابط ليتلو الحكم عليهم: "كل المتهمين مدانون بالسعي للإطاحة بالنظام القومي، وقد حُكِم عليهم بالإعدام رميًا بالرصاص". خيّم الصمت على دوستويفسكي

https://jadidpdf.com

وزملائه، إلا صوت نحيب بعضهم، وهم غير مصدّقين أن نهايتهم قد دنت بهذه السرعة الجنونية.. أعطى السجناء أقنعة، وتقدَّم أحد الكهنة كي يقرأ عليهم الشعائر الأخيرة، ووقف الرجال بعدما أُسدِلَت الأغطية على وجوههم، ورفع الجنود بنادقهم وصوّبوها نحوهم.

وقبل أن يُعطى الأمر بتنفيذ الحكم، وصلت عربة مسرعة إلى الساحة، وترجَّل منها رجلٌ يحمل مغلّفًا، والذي حوى حُكمًا نهائيًّا بتخفيف العقوبة، بقضاء أربع سنوات مِن الأشغال الشاقة في سجون سيبريا، يتبعها فترة خدمة في الجيش. وكانت هذه اللحظة هي البداية الحقيقية لأسطورة دوستويفسكي الأديب الذي صنع تاريخًا أدبيًّا مبهرًا، ويسجّل هذه اللحظات في الرسالة التي بعثها إلى أخيه يقول فيها: "حين أنظر إلى الماضي، إلى السنوات التي أضعتها عبثًا وخطأ، ينزف قلبي ألمًا، الحياة هبة.. كل دقيقة فيها يمكن أن تكون حياة أبدية مِن السعادة! فقط لو يعرف الأحياء هذا، الآن ستتغيّر حياتي، الآن سأبدأ من جديد".

قضى الرجل فترة العقوبة.. ولأنه لم يكن مسموحًا له بالكتابة في السجن، فقد كان يحتفظ في ذهنه بأحداث رواياته، صار دافعه للعمل والإنتاج كبيرًا، وبعد خروجه، رأى العالم إبداعات دوستويفسكي، حتى إن أصدقاءه كانوا يرونه وهو يمشي في الشارع متمتمًا بحوارات أبطاله، غارقًا كلية في حبكات قصصه. كان يغضب ممن يتحدّث بشفقة أو تعاطف عن أيام سجنه، بل كان يشعر بامتنان عظيم لتلك التجربة، فلولا ذلك اليوم من شهر ديسمبر 1849 لضاعت حياته، وإلى أن مات الرجل في 1881 تابع كتاباته في سرعة جنونية، مؤلفًا أعظم الروايات لا في تاريخ الأدب الروسي فحسب، بل وتاريخ الأدب عامة.

الحرمان، وهو ببساطة سلبك من ما هو طبيعي أن يكون مِلكك..

والذي يعتبر أقوى عامل لخلق اللا مكترث.. ففي لحظة تجريدك من كل

شيء ستعي شعور امتلاكك لكل شيء.. ففجأة يصبح العدم إمتلاء

ويتحول القليل لأكثر مما تحلم به.. فقوة الحرمان يكمن في إحداثها

زلزال عنيف بداخل أرجاء الإنسان، زلزال في استطاعته أن يقحم

مفاهيمَ جديدة وأفكارًا شاذة في عقله وقلبه.. فينتفض منطقه ويُصدَم

ضميره.. وأعظم ما يمكن أن يمس الإنسان إثر حرمانه هو اللا اكتراث

https://jadidpdf.com

مهما اختلف شكله أو تعدَّد مقصده.

فإن جئت بجائع وقدمت له أشكالًا متنوعة من الطعام وصرَّحت له بالأكل كيفما يشاء، ستجد أن حرمانه من الطعام قد جعله غير مكترث لأقاويل الآخرين أو رأيهم به بل هدفه الأول سيكون سد حرمانه.. فهذا عن الحرمان المادي وإن كان في أفظع صوره؛ ففي النهاية هو محدود وقابل للسد، الأزمة في الحرمان المعنوي غير القابل للتحديد أو القياس.. فاللا مكترث حرمانه من كرامة إنسانية غير موجودة في العالم، من رحمة يتوق أن يراها بين أطياف البشر، من عدل كثيرًا ما سمع عنه ولم يجد تطبيقاته في الحياة، حرمانه من حبٍّ صادقٍ لطالما بحث عنه، ولكن دومًا ما ينتهي البحث بالفشل.. كل ذلك كفيلٌ بأن يجعل من عدم اللا اكتراث دعامة قوية في رحلة سد هذا الحرمان، فيصرخ بالمبادئ جوعًا غير منتبه لأعرافٍ بالية أو مهتمٍ باستنتاجات ضحلة.. يثور منقِّبًا عن ماء القيم الحرة ليروي ظمأ حرمانه منها يغضبٍ، هادمًا سجون النفاق والرياء والتصنع.. فيغضب كأسدٍ مفترسٍ لا يكترث لأنين ضحاياه أو نظرات باقي حيوانات الغابة.. فها ينطق بها "تولستوي":

"التنبه الدائم، العمل، الصراع، الحرمان بشتى أنواعه!!.. هذه كلها شروط ضرورية لا يجوز لأحدٍ أن يتجرأ حتى على الحلم بالخروج منها ولو للحظة واحدة. علينا كي نعيش بشرف أن نتمزق، أن نسخط على

https://jadidpdf.com

أنفسنا، أن نقاتل، أن ننخدع، أن نبدأ ونُهمل، ثم أن نعيد ونبدأ من جديد، وأن نحرم أنفسنا دومًا.. فالطمأنينة دناءة في الروح.

الملل

"وكان قد أصابه الملل، كما يصيب معظم الناس؛ فقد عزلَ نفسه عن واقع مليءٍ بالتعقيدات والدراما، وانسلخ بعيدًا عن الحياة.. ولكنه من داخله كان مؤمنًا أن شيئًا يجب أن يحدث!! عاجلًا أم آجلًا، شيء ما يجب أن يحدث." ألبير كامو، رواية السقطة

"لقد مللتُ من كل شيء.."
من رسالة انتحار "ويستون شرشل"

كان أحد ملوك الصين يعاقب خصومه بأن يلزمهم البقاء في بيوتهم ويسخّر لهم مَن يخدمهم ويقضي حاجاتهم أيًّا كانت تلك الحاجات.. وسرعان ما يصيبهم الخمول والكسل ثم المرض ثم الموت.

من أنواع الفوبيا المختلفة هناك فوبيا الملل! أو الخوف المرضي من أن يصاب الإنسان بملل وتدعي الـ "thaasophobia" .. والتي بالرغم من ندرتها إلا أنها قادرة على تحويل حياة المصاب بها لجحيم؛ فالملل كشعور في الأساس هو صورة أخرى من صور فشل الإنسان، بمعنى أن الطبع في الإنسان هو النشاط أو القيام بأي سلوك حتى ولو كان سلوكًا مريحًا أو نشاطًا محبوبًا.. فالملل لا يعني انعدام الفعل بل هو الفعل، لكن الفعل الممل!! فعندما يصطدم الإنسان بصاعقة الملل تحترق الأنا الكامنة في الشخص لأنه يدرك أنه عاجز أو فاشل عن

https://jadidpdf.com

كسر تلك اللعنة.. وهناك نظرية أخرى تقول إن الإنسان زرع الملل في ذاته على مدار السنين في شكله المتطور حتى يدفعه للأفضل، فذلك الشعور التافه -كما يتخيل البعض– لربما يكون أهم عامل محفز وعنصر إثارة لعقولنا بطريقة غير مباشرة.. فمحاولة هروب الإنسان من شر الملل يزج به لمجالات أوسع وأجدد.. فيقول "أرثر شوبنهاور" الفيلسوف الألماني: "لو كانت الحياة تمتلك قيمة إيجابية كمضمون حقيقي لن يكون هناك شيء سوى الملل بجانب الوجود!!"

فكل المطلوب من اللا مكترث هو أن يسمح للملل بأن يلعب دوره في ملء كيانه وصبّ جرعات العجز والفشل بداخله لتنتعش طاقاته اللا اكتراثية.. لا يوجد أجدر من رتابة الحياة لدفعنا بعدم اكتراثها؛ فعندما تمل من أخبارهم تلجأ لكتابٍ ملهمٍ أو مقطوعة موسيقية رقيقة لتشبع حواسك منها.. عندما تملّ من قصصهم ونقاشاتهم المعجونة بخليط التفاهة والسطحية تجري على مخدعك لتفكر وتتأمل مع ذاتك.. فعندما تمل من الواقع تسبح في الخيال ليكون محيط حي إبداعاتك وأحلامك ..

"أنا لا أفكر في أحد، بل أنا لا أهتم حتى بالبحث عن الكلمات، إنها تسيل في متراوحة السرعة، فأدعها تقطر، من غير أن أثبت شيئًا، فإذا أخطأت وتعلقت بالكلمات، فإن أفكاري تظل معظم الوقت نوعًا من الضباب، إنها ترسم أشكالًا مبهمة، مضحكة وسرعان ما أنساها."

"سارتر" من رواية (الغثيان)

جان بول سارتر في روايته (الغثيان) يحكي عن قصة كاتب يدعى "أنطون روكانتان" والذي كان مطلوبًا منه كتابة سيرة (الماركيز دي روليبون) أحد رجالات القرن الثامن عشر، ولكن "روكانتان" كلما حاول البدء في كتابة تلك السيرة، شعر بنوعٍ مرهقٍ من الرتابة والملل حتى يكاد يشعر بالغثيان! فكانت حياته البسيطة السهلة منزوعة المغامرة والإثارة، مصدر ألم وشقاء بالنسبة لقلب ينبض محاولًا اسكشاف معنى للحياة.. فينطلق "روكانتان" لتسديد نظراته لما هو أبعد من كتابة السيرة لمحاولة كتابة ما يشعر به من أعماق نفسه، فيكتب عن غثيانه! وفي رحلة خروجه من شرنقة الروتين الممل والتفاصيل

https://jadidpdf.com

المكرَّرة يجد نسيم الحياة يدعوه لعالم آخر من المتعة والجمال.. يسترجع ذكريات حبه ويحاول التلامس مع صميم كينونة الإنسان.. ومن هنا تنفجر في عقله براكين الإبداع وتزهو في روحه أرفع معاني الوجود، فينتهي لقرار عدم الاستمرار في أي شيء سيدفعه للغثيان! يهجر مسببات الملل ولا يكمل كتابة سيرة (الماركيز دي روليبون)، فلن يكون فريسة لضجر يبتلع روحه ويفتت وجدانه.

معضلة اللا مكترث الوحيدة مع الملل هي أن يصل لأبشع أنواع الملل وهي كما قالها "يوسف إدريس" في قصته (بيت لحم): "أن تملّ من شيء لا تستطيع الاستغناء عنه، كأن تمل من نفسك!".. فلو كانت طريقة اللا مكترث لمواجهة ملل العالم بعدم الاكتراث به، كيف يواجه ملل نفسه بعدم الاكتراث بها؟!.. ففي تلك اللحظات يكون الشخص ذاته مفتقرًا لأضعف أشكال الحماس ، منعدم الطاقة والحلم... و كأن أعياه السأم حتي نسي كيف يكون رقيق مع نفسه

فوقتها يكون الشفاء متمثلًا في مرحلة خارقة من اللا اكتراث، حيث تمكِّن صاحبها من تجريف أرض نفسه بفأس النقد ومحراث الطعن الذاتي.. فتنثر بذور التجديد في روحه وتخلق منه إنسانًا جديدًا قادرًا على دحض الملل ولو كان ملتصقًا بجوهر إنسانٍ قادرٌ على تطويع مله لخلقِ كل ما هو مبدع ومدهش.

الخيبات المتتالية

"- نعم أنت تعاني من مرض شائع لسوء الحظ، وهو ينتشر في كل يوم بين الناس الحساسين وله علاقة بالجنون الأخلاقي ويسمى أيضًا بالفردانية أو العزلة الوهمية. إن الكتب الحديثة ملأى بالكلام عنه. وقد تسلل إلى خيالك، أنت معزول، تعتقد أنه لا أحد يأبه لك ولا أحد يفهمك.. صحيح؟!

- اعترفت وأنا مندهش "تقريبًا".

https://jadidpdf.com

- اسمع، إن الذين يعانون من هذا المرض يكفيهم أن يصابوا بعددٍ قليلٍ من خيبات الأمل حتى يعتقدوا أن لا صلة تربطهم وبقية البشر، وأنه تسيطر على الناس جميعًا حالة من العزلة، وأنهم في الحقيقة لا يفهم بعضهم بعضًا، ولا يتقاسمون أي شيء، ولا يجمع بينهم أي قاسم مشترك. وقد اتضح أيضًا أن الذين يعانون من هذا المرض يصبحون عدائين ويعتبرون كل باقي الأصحاء من الناس القادرين على تبادُل الفَهم والحب قطعانًا من الغنم ولو أن هذا المرض يعم، لاندثر الجنس البشري كله.."

هيريمان هيسه

سنة 1989 تم الإعلان عن دراسة أمريكيّة تحت إشراف علماء النفس الاجتماعي " Donald L. Kanter و "Philip H. Mirvis" لربط مدى تأثير الأخبار السلبية العالمية والمحلية على تعمُّق نظرة اللا مبالاة عند المواطن الأمريكي، فتم التوصُّل إلى أن كلما تعامل المواطن مع أحداث مقلِقة أو مزعجة، كلما زادت بداخله سلوكيات اللا مبالاة وعدم الاهتمام.. فعلى عكس المتوقع النصيب الأعلى من ردة فعل الشخص لم يكن للعنف أو الخوف أو حتى الحزن بل كان للّا مبالاة! والتي تعتبر أشد خطورة في وجهة نظر المحليلين والنشطاء السياسين؛ لأن في العنف أو حتى الخوف سيفعل الإنسان شيئًا، على عكس اللا مبالاة؛ حيث يعتقدون أنه سيتحول بلا مبالاته ككتلة رملية تتلقى الضربات!

في القرن الرابع الميلادي ظهرت مدرسة فلسفية تدعى (الكلبية) وكانت تنادي بعدم الاهتمام بأمور الدنيا من ملبس ومأكل ومتاع الحياة، بل إن الفضيلة والحكمة هي القيمة الأسمى من الوجود، فيقول "أنتيستنيس" وهو أهم مؤسيسها:

"الحكيم هو الذي ينظر باحتقار لكل الرغبات المألوفة في الحياة، ويعيش غير عابئ بالثروة والجاه."

ليظهر تلميذه "ديوجانس الكلبي" ليكون مثالًا حيًّا لهذه الفلسفة، ومن أعظم فلاسفة اليونان؛ فكان حرفيًّا يعيش في الشوارع متجردًا من الملابس، غذاؤه التأمُّل ومشربه رجاحة العقل.. حتى سأله الناس: ما الفرق بين الحياة والموت، فأجاب: "لا يوجد فرق" فقالوا: "فلماذا أنت على قيد الحياة؟"، فكان رده: "لأنه حقًّا لا يوجد فرق!" فكان يعيش أقصى درجات اللا اكتراث، وأعمق درجات اللا مبالاة حتى تحوَّل هو نفسه لخيبة متجسدة !

https://jadidpdf.com

"الطريقة الوحيدة لمواجهة الخيبات المتوالية، هي أن يعشق المرء فكرة الخيبة نفسها. إذا أفلح المرء في ذلك، لا يعود يفاجئه شيء ويسمو فوق كل ما يحدث، فيصبح الضحية التي لا تُقهَر!".. إميل سيوران

اللا مُبالاة هي الانعكاس النفسي لقرار اللا اكتراث.. وهي الحالة التي يهرب فيها الشخص عندما لا يجد أي حلولٍ أخرى تجاه قضية معينة، حيث تكون القضية لا يعود عليه من التفكير فيها غير الضياع غير المجدي والإنهاك المهدور هباءً.. وربما لا نستطيع أن نقول إنها استسلام قهري للواقع بل إنها أقرب لتكون علامة من علامات التفكير في طرقٍ أخرى للحل؛ فهي أشبه باختيار خسارة معركة الاستمرار بها كان من الممكن أن يؤدي للسبيل أشد ضررًا.. فهي خسارة مطلوبة لانتصار أكبر..

ولا يوجد خير من الخيبات المتتالية لزرع اللا مُبالاة في أعماق نفس الإنسان.. فمع كل مرة يصاب الإنسان بخيبة حياتية، ينمو بداخله شعور قاتم بالعجز ليكسو به روحه وفِكره.. ومع كل مرة يكبر هذا الشعور يستنفد الإنسان من أحاسيسه وانفعالاته حتى يجرّد الشخص من انفعاله ويدفعه لحالة مخدرة من الفراغ.. فالخيبة القادمة لن تؤثر فيه ليس لأنه قد تفاداها إنما لأنه لم يعد يشعر بها، فمصدر تلقي الخيبة ليس موجودًا.. أو بالأحرى موجود، ولكنه معطل أو غير مؤهل للاستعمال.. فكأنك تضرب في جسد ميت.. الضربة موجودة ولكنه غير موجوع!.. هنيئًا له فهو لا يتألم، لا يجوع، لا يحزن! ولكنه ميت! فاللا مكترث قد اختار الموت عن فاجعات هذا العالم، طوعًا، ليحيا في عالمه الموازي.

مشكلة من مشاكل تعامُل العامة مع اللا مكترث في نقطة الخيبات، أنهم يعتقدون أنها قد أفرغته من روحه وفكره، لكن ما يحدث أنها حررته من خوفه وقلقه ليغوص أكثر في جوف روحه ويلتصق أقوى بركائز فكره؛ فبالرغم من لا اكتراثيته بالعالم إلا أنه في الأصل جزء مشارك منه ومكوِّن له.. وإن أعلن لا اكتراثه لسلوكه وخططه الانتفاعية، إلا أن جوهر المضمون الإنساني ما زال لصيقًا بإنسانيته وضميره.. فكما عبر "نجيب محفوظ" عن أهم أزمات اللا مكترث قائلًا:

"فعِندّما تُقابل أحدهُم ويَحكي لك عَن خَيبتِه بِالنَاس، فَهو يَبعث لك برسالة مَعناها: أرجوُك لا تَكُن منِهُم..!"

https://jadidpdf.com

"وكأنك تركض منذ وُلِدتَ ولم تصل.."

https://jadidpdf.com

أثير عبد الله النشمي

اللا مكترث نفسيًّا

هل اللا مكترث سويٌّ نفسيًّا؟ ومَن منا سويٌّ نفسيًّا ونحن بلا استثناء ضحايا جرائم نفسية وسلوكيات أخلاقية منحرفة ولدت في قلب هذا المجتمع البائس!.. ولكن هل أصيب اللا مكترث بمقدار أكبر من تلك التشوهات حتى أصبح هذا المختلف؟ فكان لا اكتراثه عبارة عن تشوه؟! أم كان هو العلاج؟!.. فكيف يكون طبيعيًّا هذا غير المهتم تجاه الآخر وإن كان لا يكترث بوجوده بالأساس؟؟ فربما قد انتزع من

https://jadidpdf.com

قلبه أي ذرة رحمة أو عطف حتى يقوى على تلك الحياة.. وكانت

النتيجة أنه عاش وحيدًا في شرنقته مختبئًا من إحباطات العالم،

يتجنب أي تفاعل يومي أو أحاديث مجتمعية؟!.. ولكن ماذا إن كانت

عزلته لم تكن بدافع الانهزام بل كانت علامة انتصار.. ماذا إن كان حقًّا

هذا اللا مكترث هو السوي نفسيًّا الوحيد بيننا!!

قديمًا قالوا: "لا تراهن على هزيمة شخص تخطّى أسوأ أيامه بدُون

كتف يسند رأسه إليه"، فمثل ذلك الشخص قد حفرت قسوة الزمن

في ملامحه علامات الصمود والجلد، فبات يتلذذ بالصعاب ويشتهي

الألم ليتعدى حاجز لا اكتراثه فيصبح لا يكترث حتى بجراحه

الشخصية!!.. ولذلك إن هذا اللا مكترث يذرف دموع الخسارة باسمًا

https://jadidpdf.com

وينزف دماء الإساءات مستهزئًا.. مما يجعل تكوينه النفسي مبهمًا

وصعب الإدراك.. وبالرغم من هذا إلا أن تعقيداته تكمن في انحيازه

الدائم لما هو بسيط ومباشر.. ففي ظِل مجتمع يعشق الدراما المبتذلة

والروايات الركيكة.. مجتمع علية قومه عاهرات الانتباه، ومدمنو

الأضواء.. فاللا مكترث لا يشرِّفه أن يخضع لمقاييسه النفسية أو أنظمته

التحليلية.. بل ليكُن هو مقياس ذاته ومعيارها الوحيد.

الوحدة

https://jadidpdf.com

(السيدة الإنجليزية العجوز التي أقدمت على الانتحار، كانت تدوِّن

يوميًا ومنذ أشهر في مذكراتها: اليوم، لم يأتِ أحدٌ لزيارتي!) "ألبير

كامو"

(اللغة ابتكرت كلمة "الوحدة" لوصف ألمٍ أن تكون وحيدًا، وابتكرت كلمة "العزلة" لتصف شرف أن تكون وحيدًا).. "بول تيليش".

"في نهاية طريق الوحدة يشعر المرء بأنه اعتاد.. غادرته الحاجة إلى الرفقة، إلى الأنس، يتساوى النوم والأرق، يصبح اللقاء بشخصٍ آخر مؤلمًا كالشوكة.. كالغربة.."

"أنسي الحاج"

من أهم القضايا التي لطالما طرأت في أذهاننا عند سماع لفظ "اللا مكترث " هي الوحدة.. فالوحدة بكل ما تحمله من معنى ومضمون هي اللصيق الأجدر لكائن اللامكترث أو هكذا يرى البعض.. فالوصول لقرار اللا اكتراث لا يمكن أن يحدث وسط زحام المجتمع وضوضاء الأحداث الاجتماعية العامة.. ولكن المشكلة تحدث عندما تقرر أن تكف عن الكلام لفترة معينة في حياتك وتختار السكون والعزلة كطابع أساسي لك، فيبدأ من حولك بملء صمتك ووحدتك بإدراك معين من مخيلاتهم وأوهامهم الشخصية.. فكما قالت الكاتبة "غادة السمان": "لأننا نتقن الصمت، حمّلونا وزر النوايا!!" ولذلك يتم تأليف القصص الطفولية والمشاهد الساقطة عنك، يتم نسج الحكايات المعبِّرة عن نواقصهم النفسية والشخصية حتى تكاد تصل لمستوى مشين من طعن في صحتك العقلية أو سلوكياتك الاجتماعية! فإما أنت كائن انطوائي سلبي تعاني من اكتئاب مزمن، أو إنسان متغطرس مغرور ناكر لكل أعراف الصداقة!.. وكلها محاولات بائسة منهم لاستفزازك وجذبك خارج نطاق سلامك الذاتي.. كمتّهم باتخاذك قرار بالعزلة بلا سماح أو استئذان!

https://jadidpdf.com

فيصبح رد فعلك المتوقع وقتها هو البرهنة على استمرارية وجودك الغني وسط زحامهم، فتشارك بقوة في المناسبات المجتمعية اللزجة، مرتديًا قناع الابتسامة البلهاء تجاه سخفهم وكلامهم الفارغ.. تعود كسابق عهدك عضوًا مؤثرًا في مستنقع الأحداث التي تدور حولك وتجاهر بوجهة نظرك التي لا قيمة لها في علمك، غير متناسٍ أن عليك الاستماتة والصراخ وقتما تعلنها!.. تصارع لتجهز مكانك كأحد عناصر أصداء الصوت المزعجة بأسلوبك الببغائي الممتع الجميل، تمسح أي حدودٍ صحية تربطك بالآخرين بل تجعل من حياتك مداسًا لكل من مَرَّ بها.. فتفعل ما تستطيع عليه من رعونة وعدم نضج حتى تعيد لهم فكرتهم الأصلية باهتمامك الشغوف بتفاهتهم وسطحيتهم المفجعة..! فصراعات العالم وحماقات الآخرين كفيلة بإعطاء قيمة ووزن لأكثر سلعة يخاف منها أغلب البشر وهي الوحدة، لتكون الوحدة بالنسبة للّا مكترث هي انطلاقة ولادته، فمثلما عبَّر "تشارلز بوكوفسكي" حين قال:

"يفرغونني الناس منّي، عليّ الابتعاد عنهم لأعيد ملئي"

ما تعلِّمه الحياة للإنسان على مَر التاريخ أنه من الغباء التعامل مع أي وضعٍ كوضعٍ له مضمون ثابت قاطع في المطلق، ولكن الحياة عبارة عن إدراكات نسبية في الأساس.. فمن الغباء التعامل مع الوحدة كوضعٍ قائمٍ بذاته بدون النظر في الأسباب والدوافع.. وكأنها خيرٌ في المطلق أو شرٌّ في المطلق! فالوحدة بالنسبة للا مكترث أقرب لتكون وسيلة عن كونها هدفًا.. وتلك هي المعضلة التي يدركها كل لا مكترث ولا يجرؤ العامة حتى على الاقتراب منها، فدائمًا ما يعتقدون أن الوحدة هي نهاية المطاف.. ولكنهم يجهلون أنها فقط البداية..

"هذا العالم الهائلُ الذي في رأسي، لكن كيف يمكنني أن أحرّر نفسي؟ كيف يمكنني أن أحرّر نفسي دون أن أمزّق إلى قطعٍ؟ وأفضّل ألف مرةٍ أن أمزّق إلى قطعٍ على أن أبقيها في داخليً أو أدفنها هناك." كافكا

فالوحدة الحقيقية ليست لأنه لا أحد معك بل لأنك أنت نفسك لست معك! فمسعى اللامكترث هو وحدة الفكر و النفس والفعل.. أن يكون متسقًا مع داخله و قناعاته، غير منشق على ضميره أو منقلب على مبادئه، أن يكون هو ! .. وحتى يصل الإنسان لذلك المستوى من الاتحاد، عليه أن يتمتع بأكبر قدر متاح من الهدوء والصفاء.. عليه أن ينصرف بعيدًا عن فرعيات العالم.. عليه أن يبذل وقتًا أكتر للتعرف على

https://jadidpdf.com

حقيقة وجوده كإنسان.. ففي الوحدة عالم أوسع وأكثر دهشة من الروتين المرهِق، والأخبار المتكررة، عالم التواصل الأقرب للذات.. ففور تذوق جمال هذا العالم يدمنه أي إنسان ولا يقدر أن يتحرر من جاذبيته.. فما عانى منه" "كافكا" يعاني منه آلاف اللا مكترثين على مدار التاريخ، ولربما لا تكون الوحدة هي العلاج القاطع لكل تلك المعاناة، ولكن إن كان هناك علاج حقًّا فلن يقوم بمفعوله إلا من خلال الوحدة..

وحدة الجوهر قبل وحدة الجسد..

السعادة والتفاهة

"إذا أردت أن تكون تافهًا، فما عليك إلا أن تدير ظهرك لهموم الآخرين."

كارل ماركس

في كتابه (فن الوجود) يقول المفكر "إريك فروم" إن إحدى عقبات الوجود هي التفاهة المتمثلة بقوة في (الحديث التافه).. فالتفاهة وأصلها الكلمة اللاتينية (tr-via) ومعناها: نقطة التقاء الثلاث طرق أو المكان العام؛ لأنها تعبّر عمَّا هو ظاهري وضحل بالنسبة لعموم الناس.. فالتفاهة هي نزع صفة العمق والجوهر من أي موضوع.. فيستشهد بمقولة بوذا عن الحديث التافه:

"لن أشارك في حديثٍ عن الأشياء السخيفة؛ الأكل، والشرب، والملبس، والسكن، والعطور، والأقارب، والأجداد، والقرى، والمدن، والنساء، والرجال". ولكن في المقابل يشرح " فروم " بأن الحديث غير التافه هو الحديث الذي يبني، فيناقش المعرفة والفضيلة والحكمة، يساعد على الحياد وتصفية الذهن ويحفز ذات الإنسان على تحمُّل

https://jadidpdf.com

الحياة القاسية.

هناك شبه انطباع عام عند أغلب اللا مكترثين، وهو: إن لا فرق بين الفرح والكآبة؛ ففي النهاية الحياة قائمة على حالها مهما كان وضعك المزاجي، فالخطة هي إبقاء المشاعر على بوصلة الحياد توفيرًا للطاقة.. ولكن ما أساس هذا الانطباع؟.. البداية تحدث عندما يشعر الإنسان ولأول مرة في حياته بفجاعة سطحية الانعكاس المجتمعي للسعادة.. فعندما يولد الإنسان ويكبر في مجتمعات تكون قمة سعادتها في فوز فريقٍ ما بمباراة كرة قدم أو تصريح ممثل سينمائي يلهب حماس الجماهير، تتشوه بداخله مقاييس السعادة، وتتخالط بينها وبين دلالات التفاهة! فيعيش الإنسان في انحراف تلك الموزاين لفترة من حياته حتى يصطدم أخيرًا بما يزيل تلك الغشاوة من ممرات عقله.. فتنفتح عيناه على السعادة الحقيقية وهي السعادة الخالدة التي لا تنقضي بوقتٍ ولا ترتبط بمكان.. سعادة المبادئ.

فالانطباع المأخوذ عن تعامل اللا مكترث مع قضية السعادة ربما يتضح أكثر عندما يعلم الآخرون كيف يرى اللا مكترث السعادة، أو ما هي سعادة المبادئ تلك؟ ولكن المعضلة أن اللا مكترث بطبعه لا يهتم بما يراه الناس ولا يبذل أي جهدٍ لتبرير أفعاله لهم.. فسعادة المبادئ هي السعادة التي لا تصب في قارورة الأنانية الشخصية أو الغرور الفردي، بل هي نظرة التغيير الحي المبدع في قلب العالم، فسعادة اللا مكترث لا تتمركز حول سعادة الأنا، بل هي سعادة أبعد ما تكون عن لذة شهوانية أو انفعال الحدث.. وإن كانت في بعض الأوقات سعادة مصحوبة بالألم أو التضحية، ولكن كل تلك الإشارات هي تأكيد على تنقية تلك السعادة من أي تفاهة أو سطحية أرضية.. فتختلف نظرة اللا مكترث عن سعادة العامة.. فربما يجد قمة سعادته في ضحكة طفل، ابتسامة حبيب، فنجان قهوة مع أبٍ عاش طوال عمره يطمح لأولاده الأفضل فكان حقه الاحترام والتبجيل.. في المغفرة والرحمة.. في الثبات والقوة.. في اللا اكتراثية نفسها! فعندما تجد كل مَن حولك منشغلًا بحماقات العالم وسخافات الدنيا ولكنك تصر على التمسك بقرارك الحازم بعدم الانجراف وراء بقايا فتات هذا المجتمع التافه.. وتصر على عدم الاكتراث لهم.. فذلك النصر المتميز يستحق أن يدعى سعادة..

وها هو "نيتشه" يتكلم عن العالم التافه في كتابه (إنسان مفرط في إنسانيته) فيقول:

https://jadidpdf.com

"لماذا نشعر بالندم حين نغادر جماعة تافهة؟ لأننا تناولنا فيها أشياء مهمة بلا تروٍّ؛ لأننا لم نتكلم بحُسن نية حين تعلق الأمر بالأشخاص، أو لأننا التزمنا الصمت حين لزم الأمر التحدث؛ لأننا لم نقفز وننصرف حين واتتنا الفرصة، باختصار، لأننا تصرفنا في عالم الناس كما لو كنا من عالم الناس."

عبء الآخر

"لا أستطيع الاقتراب كثيرًا من الناس المدللين الفارغين عاشقي المظاهر الاجتماعية، كثيري الثرثرة والضجيج، ولا أجد بيني وبينهم أية لغة مشتركة."

غادة السمان

"لم أنسحب من العالم لأن لي فيه أعداء، وإنما أصدقاء.. وليس لأنهم كانوا يسيئون إليَّ كما في العادة، وإنما لأنهم كانوا يظنونني أفضل ممّا أنا عليه، فهذه كذبة لم أستطع تحمُّلها!" ألبير كامو

من أهم ما يميز اللا مكترث عن الآخريين هو أن عند تعرضه للرفض أو الطعن يكاد يكون عنده أكثر تقبُّلًا من المدح أو الثناء!.. فبينما يسعى البعض للحصول على انتفاخ اجتماعي أو استحسان شخصي، يهرب اللا مكترث من كل تلك المظاهر والشكليات.. فيشعر بضيقٍ أمام تلك الأساليب الساذجة من الزهو المزيَّف.. فقد توصَّل اللا مكترث لحقيقة ثابتة في عقله ونفسه وهي إن أحق الناس وهو من يعلم أنه لا

https://jadidpdf.com

يستحق! فكلما تعمق اللا مكترث في فَهم ذاته، أدرك نواقص وعيوب لا نهاية لها، وتقبَّل الضعف الإنساني كجوهر حتمي للوجود! فبمجرد انتزاع أقنعة المجتمع وأزياء العالم المادي يتعرى وجود الإنسان ويكتشف أنه أقل من العادي؛ فواقعه الواهن يدفعه لإدراك أنه لا يثير إعجاب أحد أو حتى يأبه به أي أحدٍ.. فتحطم أمامه أصنام المجاملات المصطنعة والاعترافات الكاذبة.. فاللا مكترث لا يريد إلا شعور الحقيقة، الحقيقة فقط! بلا تزيين أو تجميل.. يريد الكلمة الصادقة ولو كانت مؤلمة، يريد إخراج ما في باطن البشر بدون أن يستشعروا الخجل أو الحرج.. يريد الحزن حيًّا و الانكسار الصافي.. الضحكة البسيطة والحب المجرَّد.. الأمل الصعب والتواصل المنزَّه عن الغش والنفاق!

ليقول كـ "نيكولاس سباركس":

"أنا شخص عادي، أمتلك أفكارًا عادية، وأحيا حياة عادية لن يبقى لي أثر، وقريبًا سينسى العالم اسمي لكنني أحببت بكل ما يملكه قلبي من طاقة وبالنسبة لي، لطالما كان ذلك كافيًا".

فبينما يتعذى الآخرون على تخمة الكلام الإيجابي، يجده اللا مكترث عبئًا يفصله عن الوصول للحقيقة.. فليس رغبة في تعذيب الذات قدر ما هو اشتياقٌ للصدق.. فما يدفع الآخرين للّهث وراء الرياء والكذب هو أنهم شديدو الاكتراث بما يتعلق بنظرة الآخر لهم، أما عن اللا مكترث

https://jadidpdf.com

فنظرة الآخر له هي آخر ما يشغله أو يبدي له أي اهتمام.. والسبب ليس الغرور الأعمى أو التعالي غير المتزن، بل التقبُّل..! ففي النهاية، القضية هي قضية تقبُّل الذات، واحترام النقائص، وتلك هي أهم مبادئ اللا مكترث، فيقول فيلسوف إغريقي "أنتيسِتنيس":

"أفضِّل أن يُلقَى بي بين الغربان على أن يُلقَى بي بين المجاملين؛ فالغربان تأكل لحم الموتى، أما المجاملون فيأكلون لحم الأحياء..!"

الشكائين الأغبياء

"عزيزي، أشعر بثقة أنني أصير إلى الجنون مجددًا. أشعر أننا لن نستطيع أن نمر بأوقاتٍ عصيبة أخرى، ولن أتعافى هذه المرة. بدأت بسماع الأصوات، ولا أستطيع التركيز؛ لذا أفعل ما يبدو أنه أفضل شيء يمكن فعله. لقد قدَّمت لي أعظم سعادة ممكنة، لقد قدمت لي بكل الطرق أقصى ما يمكن لأي أحدٍ أن يقدِّمه. أنا لا أعتقد أنه بإمكان أي شخصين أن يكونا سعيدين هكذا، حتى جاء هذا المرض اللعين. لا أستطيع المقاومة أكثر من ذلك. أعرف أنني أفسد حياتك، وأنه بإمكانك العمل بدوني. وستفعل كما أعرف. أنت ترى أنني حتى لا أستطيع كتابة هذا جيدًا. أنا لا أستطيع القراءة. ما أريد قوله إنني مدينة بكل سعادة حياتي لك. لقد كنتَ صبورًا تمامًا معي، وطيبًا بشكلٍ لا يُصدَّق. أريد أن أقول ذلك –وكل الناس تعلم ذلك، إن كان باستطاعةٍ أي أحدٍ أن ينقذني لكان هذا أنت. كل شيء رحل عني باستثناء حقيقة طيبتك. أنا لن أستطيع الاستمرار في إفساد حياتك أكثر من ذلك. ولا أعتقد أن هناك شخصين كان بإمكانهما الحصول على سعادة أكبر مما كنا فيها". جزء من رسالة انتحار الكاتبة فيرجينا وولف

" أنا أستصعب، أستصعب جدًّا الشكوى من عِلّة تلمّ بي. فإذا مرضتُ،

https://jadidpdf.com

رغبت في أمرٍ واحدٍ وهو الاختفاء عن عيون الناس، حتى عن عيون الذين أحبّهم ويحبونني. وفي شرعي، إن أحسن دواء للداء هو الانفراد التام."

- جبران خليل جبران، رسائل إلى ميّ زيادة

"فهؤلاء الذين يفترض فيهم أن يخففوا عنّي أصبحوا همًّا فوق همّي، ثم أصبحوا مرضًا لا أعرف كيف أتخلص منه."

- عبدالرحمن المنيف

في علم النفس هناك ما يدعى: عقلية الضحية الـ " victimism" ، وهو ما يمر به بعض الأشخاص بشعورهم المفرط بأنهم ضحايا وضع ما.. فمثلًا شاب مرَّ بظروف صعبة فبات يبكي على حاله ويشتكي هموم الزمن، بالرغم من أن مثل تلك الظروف لربما تكون مقبولة لأناسٍ آخرين، ولكنها كانت محطِّمة لهذا الشاب حتى دفعته للتحول لضحية.. عقلية الضحية يمكن أن تظهر في شكل عقلية جماعية.. فشعب ما بالكامل تنتشر فيه أعراض الضحية والظلم كرد فعل على قمع نظام أو انتشار فساد، بالرغم من أن جزءً كبيرًا من الوضع المزري القائم هو بسبب خيانة وعجز ذلك الشعب! فعقلية الضحية هي بمثابة تبرير مقنع للفشل والخيل.. فبدلًا من أن يواجه الإنسان نفسه بنواقصه لعلاجها يبحث عن أسبابٍ ليُرجِع لها تلك النقائص.. فيكون المطلوب اهتمام ممن حوله ودعم من خارج سلطته، مجرد أكاذيب وهمية ومخدرات شكلية ليقنع بها نفسه أنها مجني عليه لا حول ولا قوة له وليس الجاني المسئول عمَّا وصل له!.. وهذا ما يتنافى مع عقلية أي لا مكترث، فهو لا يسعى أبدًا لعونٍ أو يستجدي نظرة شفقة.. بل أن جَلْد نفسه للتحمل والاستمرار أهون عليه من أن يُظهِر ذاته في دور الضحية!

فاللا مكترث نادرًا ما يلجأ لأحدٍ حينما يتعب أو يغمره الحزن، بل يتداوى ذاتيًّا، فلا يشتكي، ليس فقط لإيمانه أن الشكائين أغبياء، بل لأنه يعي يقينًا أنه لا يوجد أحد غير نفسه قادرٌ على إصلاح ما بداخله.. فهو ببساطة، ليس في حاجة لإصدار الأصوات والكلمات تجاه عالم يحتقر أصواته وكلماته! فيرفض أي شفقة قد تجلبها شكوى.. وإن كان هشًّا من الداخل، ضعيفًا، يحتاج لمن يحنو عليه حرص على تصدير صلابته وشدة بأسه للعالم! فهو يرى أن المنهزم هو من يهوى أن يظهر بمظهر الضحية لأنه مذنب ومسئول عن انهزاماته، أما الشجاع هو من يواجه نفسه بصدقٍ وبسالة متحملًا طريق الكفاح بالألم.. فلا يشكو، لا يبكي،

https://jadidpdf.com

بل يحمل أعباءه على كاهله وينصرف في سكونٍ وصمتٍ..

ولربما من عيوب اللا اكتراثية أنها دائمًا ما تكون مصحوبة بقسوة ذاتية على الإنسان بنفسه.. ويمكن أن يكون السبب في جوهر اللا اكتراثية كاختيار، فهو اختيار قاسٍ في مضمونه؛ حيث يقرر شخص بكل بساطة أن يرذل العالم وأن ينفصل عنه برصانة باردة؛ فهو في الأساس قرر الابتعاد، فمن المخجل أنه في لحظة يقرر الرجوع.. والحقيقة أن الشكوى وطلب العون سلوك إنساني طبيعي، ليس دخيلًا على الفرد أو مصطنع في الأزمات والكوارث فقط.. فيحكي "إدواردو غاليانو" في كتابه (أفواه الزمن):

(يقول أوريال فال، وهو الذي يتولى العناية بحديثي الولادة بإحدى مستشفيات برشلونة: إن أول حركة للكائن البشري هي العناق؛ فبعد الخروج إلى الدنيا، في بدء أيامهم، يحرّك حديثو الولادة أيديهم، كما لو أنهم يبحثون عن أحدٍ.. أطباء آخرون، ممن يتولون رعاية أناس عاشوا طويلًا، يقولون إن المسنين، في آخر أيامهم، يموتون وهم يرغبون في رفع أذرعهم.. هكذا هو الأمر، مهما قلّبنا المسألة، ومهما وضعنا لها من كلمات؛ ففي هذا، ببساطة، يُختزل كل شيء: بين خفقتين بالأذرع، دون مزيد من التفسيرات، تنقضي رحلة الحياة.)

وهنا يظهر إبداع اللا مكترث.. حيث يوظف شكوته في سلوك إبداعي خلَّاق.. فعظمة الإنسان تظهر عندما يزاوج قلبه عزة نفسه لينتج لنا أعظم المشاعر الإنسانية.. فصرخته لا يخص بها مجموعة مؤقتة من الناس أو حقبة زمنية من التاريخ بل يعلنها مدوية في فلسفة أو فن لتعيش على مدار التاريخ وينصتها كل الناس.. أنينه أنين قوة لا يظهر وهنًا أو انكسارًا بل عبقرية وإخلاصًا للقضية.. فلا أعظم من لا مكترث قرر أن يعلن عما يشعر من ضيقٍ وألمٍ.. فوقتها تنشأ الحضارات وتولد الثورات.

امتصاص الذات

(من بين الأشياء التي سوف تكتشفها أنك لست الإنسان الوحيد في التاريخ الذي اختلط عليه الأمر وارتعب، بل وتقزَّز من السلوك الإنساني.. لست وحدك الذي تعاني هذا الشعور.. وسوف يزداد

https://jadidpdf.com

حماسك وتكبر دوافعك لأن تعرف أن الكثيرين جدًّا عانوا أخلاقيًا، كما تعاني أنت الآن!! ولكن من حُسن الطالع أن بعضهم سجَّل ما عاناه لتتعلم منه إذا رغبت، كما أنه في يومٍ ما، إذا كان عندك ما تقوله، سيستفيد إنسان آخر مما تقدمه؛ فإنه حقًّا لَترتيب جميل متبادل.)

"ج. د. سالنجر" من رواية (حارس حقل الشوفان)

هناك مصطلح في علم النفس يدعى (self-absorption paradox) معضلة امتصاص الذات والذي يناقش امتصاص أو ذوبان الإنسان بداخل نفسه نتيجة تفكيره الأخلاقي والفلسفي المستمر، بمعنى أن شدة تفكير الإنسان مع نفسه يمكن أن تدفع به للتعمق في قيم وجودية وقضايا إنسانية بعيدة عن نطاقات الإنسان الشخصية، ولكنه يندفع لها بلا مقاومة.. وهذا ما حاول "ج. د. سالنجر" أن يشرحه في تلك السطور البسيطة، فلخَّص معاناة إنسانية في بضع كلمات..

(إنني مصاب بحمى التفكير، أفكر فيما حدث وما سيحدث وما قد يحدث، أفكر في الأشياء التي لن تحدث وماذا سيحدث لو حدثت فعلًا)..

دوستويفسكي

مشكلة من مشاكل الفكر الإنساني أنه أشبه بمتاهة سرطانية، فلا يكفي أنها متاهة مليئة بالتعقيدات الصعبة بل إن تعقيدها يعمل كخلايا سرطانية تشوب أي طريق يحاول الإنسان الوصول لمنتهاه.. فيتخيل الإنسان أن إجابة السؤال ستكون هي الكفاية لكنه يجدها تصنع بعدها أكثر من سؤال.. فالنهاية الحقيقة ليست بالإجابة بل بالكف عن السؤال.. ولكن جوع العقل للإجابة لا يمنحه سلام انعدام السؤال.. ولكن كيف يتعامل اللا مكترث مع قضية امتصاص الذات.

"لقد مر وقتٌ طويل، منذ أن كنت أنا أنا!".. فرناندو بيسوا

ربما ما يقفز سريعًا لمخيلتنا عن ذكر اللاكتراث هو أن مثل قضايا امتصاص الذات ربما لا تشغل بال شخص قرر عدم الاكتراث بالعالم وما فيه.. ولكن الحقيقة أن من أهم دوافع اللا اكتراث عند الإنسان هي اختياره الانصراف عن مادية العالم والغوص فيما وراء المعنى

https://jadidpdf.com

الإنساني وهذا هو تحديدًا لُبّ امتصاص الذات.. فكلما قرر الإنسان الهروب من العالم بتفاهاته ونزواته السطحية، كلما تشبث أكثر بمحاولة الهروب في نفسه.. فيبتعد عنهم ليلتصق بذاته، ينصرف عن أفكارهم ليخلق كهفه الخاص المثبت على دعامات مبادئه الشخصية، يتقزز من سلوكياتهم حتى ينسلخ عنهم ويشفق على وجودهم الإنساني، وفي خضم هذا التنافر الأخلاقي يجد نفسه يسقط بلا أدنى ذنب في تقززه من نفسه!!.. فمن هو هذا الإنسان؟! هل هو ذلك القاضي الساعي للعدل أم المذنب المدرك أن لا عدل في هذا العالم.. هل هو صوت الحق الذي ينادي بالمثالية ناقمًا على مجتمع ساذج، أم المريض المحتاج لجرعة تقويم وإصلاح داخلية؟!.. كيف لا يكترث وإن كان اللا اكتراث في حد ذاته تخاذلًا أو خمولًا.. ولكن كيف يكترث والاكتراث هو أصل كل الاستنزافات الوجودية التي دفعها الإنسان على مدى التاريخ؟! فلا يوجد ما هو يستحق اكتراثه ولكن ما قيمة الاكتراث إن كان لا يُستخدم؟!.. فيصيح كشخصية المسجون John Coffey في فيلم (The Green Mile):

"أنا متعب يا سيدي، متعب من كوني وحيدًا في الطريق كعصفور في المطر، متعب من عدم وجود رفيق أكون معه، ليخبرني أين نذهب؟ من أين نأتي؟ ولماذا؟ في الغالب تعبت من البشر ومن كونهم قبيحين مع بعضهم. تعبت من كل الآلام التي أشعر بها وأسمع عنها في العالم كل يوم، هناك الكثير منها، إنها كقطع الزجاج في رأسي طوال الوقت، هل تستطيع أن تفهمني؟"

والحقيقة أنه لا يوجد من يستطيع فهمه؛ لأنه هو نفسه لا يستطيع أن يفهم ما بداخله.. فهي حالة ذوبان نفسي وذهني وقتما بدأت، لا نهاية لها.

باغض البشرية

"لو أنك تعلمين كم يزعجني هذا العالم.. أريد الفرار.. أن أمضي بعيدًا

https://jadidpdf.com

عن هذه القذارة.. ولست أدري إلى أين يا أمي." جابرييل جارسيا ماركيز

"جرّب أن تظل وحيدًا لفترة، ستجد أن البشر بلا أي فائدة حقيقية سوى إنهاكك في تفاهات سطحية لمشاكلهم النفسية طوال الوقت." دوستويفسكي

"دائمًا الوجوه نفسها، والأحاديث نفسها، والمشاكل نفسها. تتبدل الأشياء بتبدّل الظروف لكنها تستعيد أشكالها السابقة. وفي نهاية المطاف تشعر وكأنك تموت وأنت على قيد الحياة. الصداقة والانفعالات الكبيرة، كل ذلك نتعامل معها بالأهمية التي تستحقها. لكننا نحتاج إلى شيءٍ آخر. إنها حاجة ملِحَّة يبدو التعبير عنها أمرًا غير ذي جدوى." سيمون دي بوفوار

الـ Misanthropy وهي كلمة من أصول يونانية تعني القرف أو الكره للبشر وهي حالة تظهر في الفرد بدون أي مبرر رئيسي أو سبب مباشر، مجرد شعور بالنفور عامة تجاه البشرية نتيجة تراكمات نفسية وأخلاقية يمر بها الإنسان.. حتى يتحول لقرف عام من الحياة! فكأنه قد تجاوز مرحلة التعامل مع الآخرين بالمثل، لمرحلة التقزز من أن يعاملهم من الأساس!، بُغض البشرية قد تحدث عنه الكثير من الفلاسفة والمفكرين على مَرّ التاريخ بل وميزوا أنفسهم بفخرٍ كباغضين للبشرية.. ولكن أليس في ذلك نزعة من التعالي والغرور المريض؟! فكيف تكون أحد أفراد البشر وأنت تدفن في أعماق قلبك بغضًا وقرفًا تجاه جماعتك؟

في حديثه عن التشاؤم الفلسفي صرَّح المفكر العظيم "إيمانويل كانت" أن حالة النفور الإنساني من البشرية ليست بالضرورة أن يكون في مضمونها عداء تجاه الإنسان كقيمة مطلقة، ولكنها مجرد تقزز أخلاقي من تصرفاته وإدراكاته المخجِلة! فربما من شدة إيمان الإنسان أن كل ما يحدث لا يمكن أن يليق بالطبيعة الإنسانية الأسمى، تجعله ينظر لها نظرة الشافق على إنسانيته من كل ذلك العار، فهذا يتحرش ويؤذي، وهذه تنم وتكذب وهؤلاء ينافقون ويحكمون جزافًا!.. ولكن لكَـ "لَا مكترث" شعوره بالقرف من الإنسانية ربما يعيد له اكتراثه

https://jadidpdf.com

الأساسي بالعالم فيميل لتوفيره أو منعه.. فتفاعلاته بالبغض والكراهية يرى أنها لا تعود عليه بشيء غير الألم والتوتر.. ومع ذلك

مرحلة الـ Misanthropy مرحلة مهمة لكل اللا مكترثين ولكنهم لا يقيمون بها طويلًا بل محطة عابرة في سلم الوصول للنهاية.. فتبدأ تدريجيًّا مع اللا مكترث بقرف من الأشخاص الذين يعرفهم والذين لم يعرفهم، من الأماكن التي زارها والتي لم يزرها بعد، من الماضي والحاضر والمستقبل، من النظام والقوانين والعبث والعشوائية، من القيم والمواعظ والمثل العليا، من الواقع والحقيقة، حتى القرف من الخيال!! ومع هذا يظل أقسى الأنواع.. هو القرف من النفس وعدم تقبُّل الذات.. حين يصبح القرف ملاصقًا لجوهر الشخص ومركَّبًا دخيلًا لا ينفصل عن روحه وحلمه ومستقبله.. حين يصبح القرف حياة، والإنسان مجرد حالة.. وهنا تحديدًا، يجد اللا مكترث فرصة النجاة من تلك الحلقة المفرغة، إما بإنهاء ألمه بالموت أو بالحياة..

فوقتها يسخِّر اللا مكترث كل بغضه ونفوره لمحاولة فهم سر ذلك الشعور الحاقن على البشرية ليصل إلى أنها مجرد سلوكيات فردية تافهة لا ترقى أن تعكِّر صفو مزاجه أو تهدد من سلامه.. ليقول لك ـ "

[فيودور دوستويفسكي](#) " في "الإخوة كارامازوف":

"أحب الإنسانية، غير أن هناك شيئًا في نفسي يدهشني: كلما ازداد حبي للإنسانية جملة واحدة، نقص حبي للبشر أفرادًا..إنه ليتفق لي كثيرًا أثناء اندفاعي في الأحلام أن تستبد بي حماسة شديدة ورغبة عارمة جامحة في خدمة الإنسانية، حتى لقد أرتضي أن أصلَب في سبيلها إذا بدا هذا ضروريًّا في لحظة من اللحظات. ومع ذلك لو أريد لي أن أعيش يومين متتاليين في غرفة واحدة مع إنسان، لما استطعت أن أحتمل ذلك، إنني أعرف هذا بتجربة، فمتى وجدت نفسي على صلة وثيقة بإنسان آخر أحسست بأن شخصيته تصدم ذاتي وتجور على حريتي، إنني قادر في مدى أربع وعشرين ساعة أن أكره أحسن إنسان. فهذا في نظري يصبح إنسانًا لا يطاق لأنه مسرف في البطء في تناوله الطعام على المائدة، وهذا يصبح في نظري إنسانًا لا يطاق لأنه مصاب بالزكام فهو لا ينفك يمخط، إنني أصبح عدوًّا للبشر متي اقتربت منهم..ولكنني لاحظت في كل مرة أنني كلما ازددت كرهًا للبشر أفرادًا، ازدادت حرارة حبي للإنسانية جملةً."

https://jadidpdf.com

حتمية الألم

"ماذا عرفت عن الحياة، أنا الذي عاش حياته بحذرٍ. الذي لم يكسب أو يخسر، بل سمح للحياة بأن تحدث له فقط. الذي كان لديه طموحات ورضيَ بسرعة بعدم تحقيقها. الذي تفادى أن يتعرض للألم وأسمى ذلك القدرة على قيد الحياة، الذي دفع فواتيره وبقي على علاقة طيبة مع كل شخص بقدر ما كان ذلك ممكنًا، الذي سرعان ما صارت النشوة واليأس بالنسبة إليه مجرد كلمتين قرأهما ذات مرة في الروايات. الذي لم تصبه قط توبيخاته الذاتيه بألمٍ حقيقي. حسنًا، كان هناك كل ذلك للتفكر فيه، في حين كنت أتحمل نوعًا خاصًا من الندم، أتفكر في ألم وقعَ بعد طول انتظار على شخصٍ كان دائمًا يعتقد أنه يعرف كيف يتفادى التعرض للألم، ووقع الألم من أجل هذا السبب بالذات.)..

جوليان بارنز

لماذا الألم مؤلم؟!.. هل فكرت يومًا لماذا نتألم عندما نتعرض للألم؟! أو بمعنى أصح: لماذا الألم ألم؟!.. حتى يكون الكلام بشكل أكثر انسيابية، دعنا نتحدث بمثال حي وهو الألم الجسدي الناتج عن حملٍ ثقيل.. والتفسير الفسيولوجي لهذا الألم هو أن هناك أليافًا عصبية مدفونة بين عضلات الذراع حينما يتم الشد عليها بمقدار أكبر من طاقتها تبعث برسالة عصبية تترجم في المخ أن هناك ألمًا وذلك لحماية العضلة من التمزق.. ولكن هناك من يلعبون في الصالات الرياضية ويتمرنون التمرينات العنيفة غير عابئين بالألم، فهل الألم بالنسبة لهم توقف عن كونه ألمًا أم أنهم غير مكترثين بتلك الرسائل العصبية التي تصرخ بوجود الألم؟!

فالحقيقة، إن الألم شأنه شأن أي شعور إنساني -وهو نسبي-.. فما تجده مؤلمًا لك ربما يكون غير مؤلم لغيرك والعكس الصحيح.. فلا يوجد

https://jadidpdf.com

ألم بمعناه المطلَق، فالألم مؤلم لأننا قررنا أن نتعامل معه هكذا، ولكن إذا صححنا نظرتنا تجاهه سنندهش من عظمة وجلالة هذا الألم.. وهذا ما يحدث بالنسبة للألم عند اللا مكترث، مجرد تغيير نظرته تجاه الألم وليس تغيير للألم.

"نعم هو موجود في كل مكانٍ وزمانٍ، يعرفه الجميع واختبروا وجوده جيدًا، كلامي ليس عن الله، بل عن الألم.."

نيتشه

فمن أشد آلام الإنسان آلام الإحباط.. والتي تحدث عندما يشعر الإنسان بعجزٍ تجاه هدف معين أو قلة حيلة تجاه حلم ما، فتهز بداخله ثقته بذاته ويستشري فيه شعوره بالضآلة والضعف!.. فهنا الألم هدفه تحميس الإنسان ودفعه بألا يتكرر مثل ذلك الشعور المقيت مرة أخرى، ولكن ما يحدث أن أغلب الناس تميل لتجنب الحلم والطموح لتجنب الإحباط لتجنب هذا الألم!! فكثير ما يختار الإنسان السهل على حساب الأفضل.. ولكن كمثل المتمرن العنيف الذي يتلذذ بالألم للوصول لجسمه الرياضي، فاللا مكترث أشد عنفًا في استقباله وتعايشه مع فكرة الألم.. كتبت الأديبة "نور عبد المجيد" في الإهداء المخصص في روايتها (لاسكالا):

"إلى "الألم" الذي أدّبني وأظُنّه أحسن تأديبي."

فاللا مكترث يدرك حتمية الألم، ويدرك استحالة الهروب منه، بل يعي تمامًا مدى أهميته في تهذيب روحه ونضوج عقله ونفسه.. فأزمة العالم أن ضوضاءه تسلبنا لحظات الامتلاء بالألم والتشبع به، فأصوات المجتمع المزعجة تجذبنا نحو ملهيات الدنيا وتشوه في أذهاننا فلسفة الألم لنعيش في خوفٍ دائمٍ من مجرد خيال تلامسنا مع الألم.. ولا يوجد أكثر رعبًا من أن تعيش في حلقة مغلقة من الخوف المستمر.

فتجنب الألم حماية كما هو أيضًا سجن.. ربما خارج جدران هذا السجن ما هو أشد خطورة وقسوة، ولكن حياتك كإنسان محدودة مهما طالت، فقرار استغلالها في يدك أنت فقط.. إما أن تختار الأمان المؤلم بين جدران زنزانتك ذات السقف الضحل، أو تختار الحياة في العالم الواسع المؤلم أيضًا!! بكل حرية ومسئولية، فتدفع بنفسك نحو الحافة ليس بغرض السقوط بل لتتعلم الثبات!.. فإما أن تكون شخصًا متشبثًا بكل روابط سلامه الوهمي أو شخصًا غير مكترث إلا بتصالح حلمه مع

https://jadidpdf.com

نفسه.. ففي اللحظةَ التي ينزرع فيها بداخلك خوفٌ من فقدا ن الأشياء، هي اللحظة التي ينبغي أن تعلم عندها أنّ أنسب ما تفعله هو عدم الاكتراث بهذه الأشياء قبل فقدانها بالفعل!.. لأن هذا الخوف دليلٌ على أنها تملّكتك.. تملكتك حتى وضعت حريتك وكرامتك وإنسانيتك تحت أقدام هذه الأشياء.. ومهما كانت من قيمة أو مقدار، فماذا ينتفع الإنسان لو ربح راحة وطمأنينة العالم كله وبدَّد بصيرته وأضاع جوهره فخسر نفسه..؟!

مكتئب أم حزين

"إنني لستُ حزينًا.. ولكنني لا أستطيع أن أجد التفسير المناسب لهذه الظاهرة..

أستطيع أن أقول إنني مهموم وهمّي ليس شخصيًّا بل همًّا جماعيًّا يرتبط بآلام الآخرين..

إن الحزن ظاهرة مريحة لوجداني.. والإنسان الذي لا يفهم الحزن تكون عاطفته محدودة جدًّا

ويعاني نقصًا وجدانيًا وإنسانيًا وحالة الحزن ظاهرة إنسانية نبيلة.. بل هي أنبل من الفرح.. فالإنسان يستطيع افتعال الفرح.. أما الحزن فلا".. ناجي العلي

كثيرا ما يُنظر للّا مكترث على أنه شخصٌ مكتئب أو حزين، والحقيقة أن كلتا الصفتين ليس بالضرورة تواجدهما في اللا مكترث، بل لفهم أعمق لسيكولوجيته، علينا أن نعي الفرق بين الحزن والاكتئاب.. فالحزن هو شعور طبيعي ومن الوارد جدًّا أن يحدث مع أي أحد، ولكن دائمًا يوجد سببٌ لهذا الحزن.. على عكس الاكتئاب والذي ليس مجرد شعور بل هو خلل، خلل بلا سبب واضح بل نتيجة تراكمات! فالاكتئاب بطبعه مرض مزمن، فليس بمجرد زوال سبب ما يختفي الاكتئاب بل يبقى لصيقًا للشخص المكتئب ليحفر بداخله علاماته ومنها خلل في عملية النوم، انحراف في عملية حفظ الذكريات، وسمة مميزة جدًّا

https://jadidpdf.com

للإنسان المكتئب وهي انعدام التلذذ (Anhedonia)، فأغلب مرضى الاكتئاب يشتركون في عدم قدرتهم على المتعة، فالحالة هنا ليست مجرد حزن، إنما هي حالة فراغ من مضمون الشعور سواء ممتع أو حتى حزين..

عندما أضحك، أشعر أن شخصًا بداخلي ينظر إليَّ بمنتهى القرف!".. المدوِّن "أحمد مختار عاشور"

ماذا يعني الحزن؟ وماذا يعني الفرح؟ ماذا تعني المشاعر في مجملها؟! لماذا تسعد عندما ترى حبيبتك، ولماذا تحزن عندما يهينك شخص ما؟.. ربما لو كانت الإجابة علمية منزوعة لأي بُعدٍ معنويٍّ كان السر في الهرمونات التي يفرزها مخ الإنسان فيجعله يشعر بحالة نفسية معينة؛ فمثلًا: أنت ترى حبيبتك، فتصل صورتها لعقلك فيستحضر ذكرياتك السعيدة معها في وقتٍ سابق ويجعلك تشعر أنك مقدم على صناعة مقدار أكبر من تلك الذكريات السعيدة، فيفرز هرمونات عصبية معينة لتهيئتك لتلك المهمة، فتفرح.. ولكن ماذا إن كنت غير مهتم من الأساس برؤية حبيبتك؟!

سيدفعك الحزن لإرتكاب الكثير من الفرح التافه!".. هاني نديم

معضلة الشعور عند اللا مكترث تكمن في مسببات الشعور وليس في وجود الشعور من عدمه، فكارثة من كوارث هذا الزمن هي تجرُّده من مضمون الشعور الحقيقي، سواء الفرح الحقيقي أو الحزن الحقيقي، بمعنى أوضح غياب الشعور العميق الخالد!.. ربما سيفرح شخص ما بوجود شطيرة من اللحم الشهي، ولكن بمجرد الانتهاء من طعمها اللذيذ ستفقد عنصر متعتها.. الهدف هنا ليس المقارنة بالشطيرة لكن المقارنة بالفرح التافه! الفرح التافه الذي قرر اللا مكترث منذ زمن أن يهجره فاعتقد العامة أنه يهوى الاكتئاب والحزن، غير مدركين الفارق الجوهري بينهما.. وبين ما يطمح له اللا مكترث عندما يقرر أن يفرح..

فمريض الاكتئاب مشكلته ليست مجرد حزن، لكن أنَّ به كمًّا لا بأس به من الطاقة المظلمة غير سامحة له بأي بهجة أو فرحة،.. فهو سجين الاكتئاب تحت سيطرة هذا الفراغ الأسود.. أما اللا اكتراثية في أساسها هي التحرر من أي سيطرة أو رابط مقيد له حتى إن كانت تلذذًا مؤقتًا

https://jadidpdf.com

أو خوفًا جسديًّا أو نزوة عابرة.. وفي هذا التحرر يتحرر بداخله نظرة أسمى للسعادة وإن كانت مختلفة أو حتى منحرفة بالنسبة للبعض! فربما لا مكترث يفرح بأن يموت في سبيل قناعة مؤمن بها! أو يحزن بعلاوة مادية من مدير فاسد ظالم! ولكن هل هذا يعني أن اللا مكترث لا يكتئب؟!

الحقيقة، أنه يكتئب ولكن في حالة قراره بالرجوع مرة أخرى للّا اكتراث.. فعندما تفرق معه ردود أفعال العامة وتصبح محركًا مهمًّا لانفعالاته وقرارته، فحينها يدخل الاكتئاب لقلبه.. حينها يعود لما كان يتجنبه ويصطدم بوحل العالم!!.. أما الحزن والفرح، فهو يشعر وإن كان المسبب والمردود مختلف وهذا أعظم ما يصنع اللا مكترث، الشعور المتفرد وليس موت الشعور.

"إنني أخاف الأشياء التي تلامس قلبي، لذا أهرب منها دائمًا، وأهرب منك"

كافكا لـ ميلينا

اللا مكترث عاطفيًّا

كيف يبدو اللا مكترث عاطفيًّا وإن كان في الأساس لا يكترث

https://jadidpdf.com

بالعاطفة؟!.. مخطئ من يظن أن كائن اللا مكترث لا يعير أي قيمة

لعواطفه وأحاسيسه.. وأنه يكبت مشاعره تحت مسمى اللا اكتراث،

بل ما يجهله الكثيرون أن اللا اكتراث في حد ذاته هو الضامن الأسمى

لانطلاق المشاعر ونضوجها، ففي اللا اكتراث تحرر واعٍ للعاطفة من أي

قيد أو ربط.. فهي عاطفة غير مهتمة بكلام مجتمع أو بتقليد بالٍ، غير

منصاعة لمادة زائلة أو انفعال مؤقت، غير مهمومة أو مضطربة.. بل

هي عاطفة غير مكترثة بالشكليات أو السطحيات.. بل نابعة من جوهر

الإنسان بوعي وحكمة.. فعلى سبيل المثال: اللا مكترث عندما يحب لا

يلزم من يحب بشروطٍ أو عائدٍ مقابل حبه.. بل وإن وصلت في أصعب

الحالات إن رفضَ هذا الشخص حبه أو صدّه، فسيحترم اللا مكترث تلك

https://jadidpdf.com

الرغبة ويحرص على تنفيذها نظرًا لرغبته في إسعاد هذا الإنسان

بدون أن يهتم بأي فكرة أو نزوة أخرى.. فأي شخص يكون هذا اللا

مكترث؟!

فالحقيقة أن اللا مكترث ليس مجرد مختلف عاطفيًّا من حيث المفاهيم

أو السلوكيات، ولكنه أقرب ليكون نسخة من عالم خيالي أو أسطوري

والسر في هذا اللا اكتراث، الذي يجعل من إدراكات العامة الضحلة

محض تكتلات دخانية أمام صِدق وعمق مشاعر اللا مكترث.

https://jadidpdf.com

مكان سري واحد

"بدأ اللقاء على سلم جامعة القاهرة، حين تسلل بنبرات صوت هادئة

واثقة تحمل بين طياتها كلمات مسجعة عبرت أذنيها ووجدت طريقها

سريعًا إلى وجدانها وقلبها الصافي، فتلتفت لترى صاحب الصوت الذي

حملها بكلماته إلى عالم آخر، وتكون تلك النظرات بداية علاقة حب

استمرت إلى 45 عامًا لم يستطع حتى الموت أن يفرِّق بينهما. ظلت

ذكرى أول لقاء تراودها دائمًا، فتروي رضوى عاشور الكاتبة المصرية،

أن أول مرة تلتقي فيها الأديب الفلسطيني مريد البرغوثي كان على

سلم جامعة القاهرة، حيث كان يلقي على أصدقائه إحدى قصائده،

فانتبهت له وشعرت بكلماته تخترقها، حيث أنها كانت تكتب الشعر

https://jadidpdf.com

أيامها، ولكن بعد أن سمعت قصائد مريد، تركت الشعر، لأن الشعر أحق

بأهله وذويه، -على حد تعبيرها-."

عن قصة حب الشاعر "مريد البرغوثي" والكاتبة "رضوى عاشور" من جريدة (الوطن)

نقابل مئات الأشخاص يوميًّا وآلاف الأشخاص على مدار الحياة، ولكن شخصًا واحدًا فقط يطبع بصمته في عقولنا ويحجز مسكنه الخاص في قلوبنا وأرواحنا بلا استئذان أو حتى سماح منا.. وبدون أي تفسير منطقي أو عقلاني نجد أنفسنا واقفين عاجزين عن مقاومة الالتفات عنه، مندهشين من هول المشاعر المتدفقة تجاه ذاك الغريب عنا؟! وبالرغم من عدم معرفتنا الملمة به نجد ذاتنا تدعوه بكل ثقة لأن يكون جزءًا أساسيًّا في تكوينها.. فنقول كما قال "نيتشة" عندما رأى حبيبته "لو سالومي" لأول مرة:

"عندما رأيت هذهِ الفتاة أحسستُ أن عليّ ألا أبقى وحيدًا"

ولكن لماذا ذلك الشخص دون البقية؟ ما هذا السحر الممارَس علينا من قبل أناس لا يعرفوننا أو حتى نعرفهم؟ هل قابلناهم في زمنٍ آخر بأجساد مختلفة؟!.. فهناك أسطورة يونانية قديمة تحكي أن في بداية الخلق كان الإنسان كائنًا مزدوجًا وليس على صورته الموجودة حاليًا، ولكن نظرًا لأن الآلهة غضبت من أفعاله فقامت بتقسيمه ليصبح كل نصفٍ في مكان بعيد عن نصفه الأصلي.. فها كائن الإنسان الكامل ينقسم لنصف أنثى ونصف ذَكر، ولكن بمناطق متباعدة حتى يصعب الوصول لبعضهم البعض.. ويشقى كل جزءٍ في العثور على نصفه الآخر.. وتُعرَف هذه الأسطورة برفقاء الأرواح الـ Soulmates .. ولكن كيف يعثر كائن اللا مكترث على نصفه إذا كان هو نفسه في الأساس غير مكترث بالبشرية ككل؟!

أعظم ما في قصص الحب أن فكرة استعيابها بالعقل المجرد وحده أشبه بمحاولة إستيعاب مزحة سخيفة.. فكيف يقتنع العقل أن امرأة جميلة تقع في حب شخص مغترب أعمى وتقرر أن تقضي معه باقي حياتها؟! فتكون له أقوى الداعمين والمؤمنين بموهبته حتى يصل

https://jadidpdf.com

ليكون عميد الأدب العربي طة حسين؟!.. كيف يقتنع العقل آن يبقى جبران خليل جبران على حب مي زيادة وهما في مفرق عن بعضهما تسع عشرة سنة؟! هو في أقصى غرب الأرض وهي في أعماق مشارقها، وبالرغم من ذلك يعيشا قصة حب عنيفة عنوانها الإخلاص والأمل؟! فحتى بالنسبة للّا مكترث فهو أول العالمين أن عند الحب هناك ما هو أعلى من العقل وأصدق من المنطق..

(مكان سري واحد) هكذا كانت إجابة المبدع الأميريكي "روبرت برياولت" عندما سئل عن ما تفسيره المنطقي في إيجاد الأحباء لبعض.. فـكَـلامكترث هناك عادات وسلوكيات لا يتضح أن يمارسها إلا لا مكترث مثله.. حتى الأماكن التي أتردد عليها قلما تجذب من هم مختلفون عني بل أغلب روادها من اللا مكترثين.. فما كان سبب هروب اللامكترث من العالم كان سبب جمعه بقرنائه.. ففي المتاحف المهجورة والمقاهي البسيطة نجد من يشبهوننا.. أمام لوحة حزينة أو مقطوعة موسيقية نابعة من القلب نجد من ندعوه لمشاركتنا تذوُّق الجمال والتنعم بالفن.. فبينما يغرق العامة في ذوقهم المنحرف وأفكارهم المقيتة يحاول البعض الانسلاخ من تلك الثقافات العقيمة في ثقافات أرقى ونواحي مفعمة أكثر بالحياة.. يهربون من الثرثرة والنميمة والنفاق، لاجئين للحكمة والتعقل، يتجنبون التفاهة والسطحية باحيثن عن الجوهر والحقيقة، فهكذا يجتمع المحبون.. هكذا يجد اللا مكترث ضالته، فيصف الشاعر الفلسطيني "خالد صدقة" لحظاته مع حبيبته فيقول:

"أحبك لأنك كنت الوحيدة في العالم التي أستطيع أن أتحدث معها عن ثقبٍ صغيرٍ في جوربي لساعة كاملة وأنتِ في كامل انتباهك."

فهكذا يكون الحب، حالة من اللا اكتراثية الشديدة لمقاييس العالم، وفي النفس الوقت ميثاق تواصل واحتواء بكل ما يقوى عليه الإنسان من اهتمام واكتراث.

ملتزمًا وليس متعلقًا

"أن تحب يعني أن تكون مُعرَّضًا للخطر.. فجرّب أن تحب أي شيء وسيضعف قلبك وربما ينكسر! ولكن إذا كنت تريد أن تحافظ عليه دون

https://jadidpdf.com

ألم، فعليك أن تحتفظ به لنفسك، لا تمنحه لأي أحد ولا حتى لحيوان.. ضع عليه غلافًا أنيقًا، وبكل حذر اربطه بهواياتك ومصادر ترفيهك.. خبئه في خزانة أو نعش أنانيّتك.. حيث الأمان والظلمة، حيث انعدام الحركة، حيث لا وجود للهواء! فهناك سيتغيّر قلبك، فيصبح غير قابل للكسر أو للاختراق.. ولكنه أيضًا سيصبح غير قابل لاسترداد صورته الأولى.. فالحقيقة، أن تحب يعني أن تكون على استعداد للتعرض للخطر."
"سي أس لويس" من كتاب (المحبَّات الأربع).

سنة 1978 توفي عالم الرياضيات Kurt Gödel (كورت غودل) وكان سبب الوفاة نقص الغذاء! وبالرغم من عبقرية كورت وإسهاماته العظيمة في علوم الفلسفة والرياضيات إلا أنه كان يعاني من وساس غريب، وهو أنه إن أكل أي طعامٍ آخر غير المقدَّم من يد زوجته سيصاب بتسمم! فعاش طيلة حياته لا يأكل غير من أكل زوجته، ولكن حدث ما لا يخطر على حسبان كورت فمرضت زوجته Adele ووجب حجزها بالمستشفى لمدة لـ 6 أشهر.. مما منعها بالطبع من تجهيز وإعداد الوجبات لزوجها كورت، فرفض كورت أي طعام آخر حتى دخل هو أيضًا المستشفى من شدة ضعفه حتى توفي نتيجة نقص الغذاء.

هناك فرق جليل بين الـ commitment (الالتزام) والـ attachment (التعلُّق).. وأغبى الأشخاص هم من لا يقدرون على إدراك واستيعاب هذا الفرق، فالموضوع يبدأ منذ كنتَ طفلًا والعالم جديد ومرعب بالنسبة لك.. فكان الهدف الرئيسي لك هو البحث عن عناصر أمان تتعلق بها متمثله بأهل، أقارب، مدرسين أو حتى جيران تبدو ملامحهم مألوفة لك.. وكلما تجمعت تلك العناصرحولك بشكل أكبر كان مقدار الاطمئنان الداخلي يزداد ويتضاعف وعلى العكس، كلما قلَّت أو اختفت فجأة دخل القلق والارتباك في قلبك.. ولكن مع النضوج العمري والعقلي يبدأ الإنسان في الوصول لنتيجة حتمية وهي أن الأمان الحقيقي عليه أن يكون نابعًا منه وليس مربوطًا أو متعلقًا بشخصٍ

https://jadidpdf.com

آخر.. ولكن ما يربطنا أكثر بالأشخاص هو ما يدعى الالتزام! وهي مجموعة مبادئ نضعها مع الآخرين في عهد إلزامي لكل طرف منا لتيسير وجود شكل تلك العلاقة، وأرقى أشكال ذلك الالتزام هو: الحب.

مشكلة بعض العامة أنهم لم ينضجوا بعد من نطاق التعلق بالآخر، فهم لم يصلوا لمفهوم الالتزام في تعاملهم مع الأشخاص.. ومن هنا يظهر الشكل المشوَّه للحب وهو العلاقة التعلقية.. والتي في حالة غياب أي طرف فيها يرتبك الطرف الآخر ويفقد أمانه واتزانه النفسي! فكورت كان مريضًا بالتعلق غير الطبيعي لزوجته مما جعل منه ضحية هذا التعلق، ولكن ماذا يجعل أشخاصًا أصحاء ينغرسون في رمال هذا التعلق؟.. لربما لصعوبة الالتزام بالنسبة لأمثالهم.

فأيهما أسهل؟ أن تتعلق وترمي كل مشاعرك واحتياجاتك كمستسلم منكسر على أعتاق من تحب؟ أم تجلس كمنتصر مسئول تضع بنود علاقة واضحة مثمرة تجمعكم على مستوى واحد من الاحترام والتكافؤ؟!، فمشكلة الإنسان الضعيف أنه دائمًا ما يميل للأقل إرهاقًا حتى وإن كان هذا القرار صبيانيًّا أو به تقليل من وضعه ومقامه.. ولكن تظهر اللا اكتراثية في قلبه لتكوي بداخله تلك الرغبة الطفولية بنار الاعتماد الواعي على الذات، فتجعله لا يكترث لأي خطر ولا يشغل باله بأي عواقب ما دام من البداية كان هناك الالتزام الناضج الجاد.. فالحب

https://jadidpdf.com

في الأساس قرارٌ عقليٌّ مستنير قائم على أسس قوية وواضحة اصطحبته العاطفة في رحلة من التضحيات وبذل النفس.. فهو ليس علاقة انهزامية قائمة على احتياج مرضي هدفها الوحيد سد فراغ هذا الاحتياج!!.. فيقول "إيرك فروم" في كتابه (فن الحب):

"إن حبك لشخص ما ليس محض شعور قوي، ولكنه قرار وحكم ووعد. لو كان الحب شعورًا فحسب، لما كان هناك أي أساس لوعد المحبين بعضهم بعضًا بالحب للأبد. المشاعر متقلبة، فكيف يمكنني أن أحكم باستمراري في الحب للأبد إذا كان هذا الفعل لا يتضمن قرارًا وحُكمًا؟!"

الاستقرار العاطفي

"معظم الشخصيات التي تبهرك في البداية تتحول تدريجيًّا لشخصيات أقل من العادية، ذلك لأن النور المفاجئ عمى مؤقت!"

سارتر

هل استقرارُنا العاطفي نابع من أنفسنا أم من الأشخاص الذين حولنا؟! فهل عدم استقرار الفرد يكون بسبب طبعه أو شخصيته غير

https://jadidpdf.com

المستقرة أم أن الآخرين لم يستيطعوا أن يحظوا بالاستقرار المستحق؟!.. أغلب من يسمعون كلمة "استقرار عاطفي" يقفزون بفكرهم سريعًا نحو الزواج أو الارتباط الرسمي، ولكن في الحقيقة هناك استقرار عاطفي بلا زواج وأيضًا ليس الزواج هو الشرط الضامن لوجود استقرار عاطفي، بل إن الاستقرار العاطفي ليس بالضرورة أن يرتبط في الأساس بقضية الزواج، فالمضمون من الأصل متباعد.. ولكن ما هو الاستقرار العاطفي؟

"- ألن تتزوجي إذًا؟ (قالت الأم بحسرة وحزن)

- سأتزوج، أعدك ..حين أجد رجلًا يرتاح له كل كياني، فالزواج يا أمي ليس ثوبًا نرميه في ختام المسرحية! الحب الذي لا يريحنا ويسعدنا، ليس حبًا بل هو شقاءٌ من نوع آخر، يحميه المجتمع ببطانة سميكة، ويصم أذنيه عن المتزوجين التُعساء لسوء الاختيارولتسرّع القرار.. وأنا لا أرغب في أن أكون مثلهم يا أمي.."

من رواية (الماضي ينتهي غدًا) للكاتبة "غيداء الجنوب"

الاستقرار العاطفي هو إحدى حالات الانعكاس النفسي عند الإنسان موضحة مدى عمق القرار العاطفي لديه.. فكلما كان يتمتع باستقرار عاطفي أعلى كانت قراراته العاطفية أكثر نضوجًا واتزانًا؛ فالحقيقة أن

https://jadidpdf.com

الاستقرار العاطفي وليد الإنسان نفسه وليس مشترطًا بوجود كائن آخر في معادلة اجتماعيات الفرد، لربما تكون الخبرات الحياتية الخاصة بالإنسان عاملًا مهمًّا لتأسيس مثل ذلك الاستقرار وترسيخ دعائمه، ولكن في النهاية هو معبر حي على مدى صلاحية عاطفة هذا الإنسان وليس غيره.. ومن الغريب أن أسمى صور الاستقرار العاطفي تلمع في وحدته وعزلته، فإن كان يدرك التعامل الحاني على ذاته في وحدتها فمن المؤكد لن يتركها ضحية لشريك يقسو عليها أو يقلل من احترامها أو قيمتها.

فإن كان هناك شخص يدعي كونه لا مكترث ولا يتمتع باستقرار عاطفي، فبئس هذا اللا مكترث! فيجعل من لا اكتراثه كسجن من جحيم جدرانه ألواح زجاج! فيبصر من حوله خارج هذا الجحيم ينعمون ولكنه لا يقوى على الخروج منه، فدائمًا ما يشعر بخلل في توازنه الحسي ولا يحتمل البقاء في صحبه ذاته المنعزلة.. فيهرول على الآخرين مستجديًا تفاعلهم واهتمامهم، محطمًا كل قيم اللا اكتراث! فما الفكرة في ادعاء قوة العزلة وأنت من لهيب الشوق للزحام تحترق ؟! و ما قيمة إنتهاج اللا اكتراث والفرد يعيش بفكره وقلبه ونفسه مع أتفه تفاصيل هذا العالم بل ويكترث لسطحياته ومواضيعه الضحلة؟!!

.. لتصبح أهم قاعدة لضمان تحقيق ما تتمناه ، هي ألا تتحمس !!

https://jadidpdf.com

فلكي لا تصاب بنور مفاجئ، عليك أن تعيش من البداية في قلب النور، فلا يدهشك ومضات حديثة عليك بل أنت في الأصل مولود من مصدر الإشعاع.. فلا يمكن أن تقع ضحية عمى مادي مؤقت وأنت ممتلئ ببريق العقل والحكمة! فالروح الشبعى لا تجري وراء الفتات الزائلة ..فالاستقرار العاطفي الحقيقي يبدأ بشراكتك الحقيقية لنفسك وبعدها ستستطيع أن تشارك أي شخص في أي علاقة بشكلٍ راقٍ مستقر.

ليس تملك

"إذا أحببت شخصًا حقًا، عليك أن تكون مستعدًا لأن تتركه حُرًّا.." من رواية "الرابح يبقى وحيدًا" لـ باولو كويلو

بالنسبة للبعض، من أكثر النقاط إزعاجًا في أي علاقة عاطفية سواء حب رومانسي أو صداقة هو عدم قدرتهم للوصول لليقين الأكيد لمصير تلك العلاقة.. فإدراكهم المتأرجح في محيط الاحتمالات المختلفة يدفعهم للتعامل مع قضية الحب على أساس أنها قضية غير مضمونة! فلربما يبذلون مشاعر وعواطف على حبيب أو رفيق غير واثقين من بقائه معهم.. فأي عبث هذا الذي يدفع إنسانًا لاستثمار أحاسيسه في إنسانٍ يومًا ما يمكن أن يصبح غريبًا عنه؟!

يقال إن أكثر كلمة مخيفة هي (إلى الأبد)، وأكثر كلمة مضحكة هي (إلى الأبد) أيضًا!! فنظريًّا لا يوجد أي يقين أو حقيقة مطلقة في الحياة؛ فربما حبيبك الذي يعيش معك أقصى لحظات الحب يتخلى عنك بعد شهر أو سنة أو حتى بعد بضع دقائق! فلا يوجد شيء مضمون، فقط الحمقى هم من يعيشون على عقيدة أن لا شيء قابل للتغيير أو

https://jadidpdf.com

الزوال.. فحتى وإن تم حبسك مع من تحب في مكان يصعب الخروج منه لربما تتغير مشاعره تجاهك ويفطر قلبه نحوك.. ولكن هل هذا مبرر لمنعنا من الوصول لقمة مشاعرنا في الحب؟

ليحب الإنسان، عليه أن يدرك أنه لا يحب ليكون المقابل أن يتم حبه.. فهو يحب ولا يكترث لرد فعل الآخر!! وهنا تتبلور عبقرية اللا مكترث في تقيم مشاعره.. فالشخص اللا مكترث لا ينتظر إشارة أو علامة حتى يقرر مشاعره الطيبة تجاه أي شخص، ولكنه يحب لأنه بداخله يشعر بالحب.. فالحرية في الحب أسمى علامات النضوج العاطفي.. فيكون جوهر العلاقة: أنا لك، وليس بالضرورة أن تكون أنت لي.. فالمحور الأصلي في الحب هو الطرف الآخر، ولو انقضت سعادته بعيدًا عن الشخص الذي يحبه ولا يستطيع أن يتخيل حياته بدونه!!

فقضية اللا اكتراث هنا المقصود بها ليس إهمال رد فعل الآخر، ولكن إعطاءه مقدارٍ واسعٍ من الحرية لتقرير مصيره وإن كان حتى بالبعد عنَّا ففي النهاية الهدف سعادته وليس سعادتنا.. فيعود باولو كويلو في روايته "إحدى عشرة دقيقة" ليقول:

"أما اليوم، فأنا مقتنعة بأن لا أحد يفقد أحدًا، لأنه لا أحد يمتلك أحدًا.. وهذه هي التجربة الحقيقية للحرية."

فاللا مكترث عندما يحب لا يفكر إطلاقًا في تملُّك ما يحب بل إنه يرى أن قضية التملك نوعٌ غير مباشر من أنواع العواطف الفجة التي لا تتصف تمامًا بأشكال النضوج! فكيف أحبك لأنك أنت معي، ولكن إن قررت الابتعاد يتوقف حبي نحوك؟! فهل يوجد حب بدأ يمكن أن يتوقف؟ وإن توقف لسببٍ ما، فالقاعدة في تلك الحالة قائمة ويمكن أن يتوقف لأسباب أخرى.. فالحب لا يموت وإن مات لم يكن حبًّا من الأساس.. ولكنه يتحول من شكلٍ لشكلٍ، والارتباط المادي أحد أشكاله وليس شكله الواحد الوحيد.. فكل ارتباط شرط أن يكون حبًّا ولكن ليس كل حب شرطًا أن يكون ارتباطًا.. لأن الحب مصدره الإنسان نفسه، نابع منه بدون أي سماح أو إذن من أي شخصٍ آخر، ولكن في الارتباط؛ فالقرار مشترك يجب أن يكون بموافقة العناصر المنخرطة في ذلك الميثاق.

فبخصوص التخوُّف من استثمار مشاعر اللا مكترث في حبيبٍ ربما يكون قراره أن يصبح غريبًا عنه، فاللا مكترث لا يكترث لذلك القرار لأنه بحبه قد نفى أي صفة غرابة عنه، بل جعله ساكنًا أساسيًّا لقلبه ونزيلًا رئيسيًّا في مسكن روحه.. فالحب الصادق هو أن تتحرر من حيز الحب المقايض لنطاق الحب الحر.

https://jadidpdf.com

فن التجاهل

"كي تعيش عليك أن تتقن فن التجاهل باحتراف." شارلي شابلن

يحكى أن أفعى دخلت محل نجار بعد أن أقفله ليلًا، وكانت تبحث عن طعامٍ، وكان من عادة هذا النجار أن يترك بعض أغراض عمله على الطاولة، ومن بين هذه الأغراض المنشار، وبينما كانت الأفعى تبحث عن طعامٍ.. إذ تعثرت بالمنشار فجرحت جرحًا طفيفًا، ارتبكت الأفعى من الجرح، وكردّ فعلٍ على هذا الجرح عضّت المنشار قاصدة مصدر الألم، ولكن ذلك أدى إلى نزف الدم من فمها.. لم تتعظ الأفعى بما حصل لها وقررت أن تفعل محاولة أخيرة؛ فقامت بالالتفاف حول المنشار لتعصره بجسمها.. فقام المنشار بقطعها وماتت وهي تحاول الانتقام لجرحٍ طفيفٍ أصابها، ربما لو كانت تجاهلته لكانت ما زالت حية.

فالمدهش في الأمر أن الإنسان ليس كأفعى قدراتها العقلية لا تقدر على استيعاب موهبة مثيرة كموهبة التجاهل.. فدائمًا يكون حساب المواقف بما ستئول له من العواقب، ووحده العاجز عن تحليل الأوضاع المنساق بدوافع الحقن والغضب هو من يدفع ضريبة التسرع والانتقام الغبي!.. واللا اكتراثية هي خير ما يعلم الإنسان التجاوز والترفع عن التوافه؛ لأن الهدف الأشمل ليس تحت أرجلنا، بل هو ما يحيط بنا من

https://jadidpdf.com

كل جانب.

فمِن أبرز مظاهر التجاهل عند اللا مكترث، هو تجاهل أخطاء الماضي.. فسجن الندم على تجاربنا السابقة كفيلٌ بأن يفتك بأي مستقبل لنا، والأزمة أن ما يربطنا بهذا السجن هو عاطفتنا وذكرياتنا والذين بدونهم ننسلخ من كياننا هذا، فكينونة الفرد ما هي إلا مزيجٌ من إفرازات انفعالاته وتجاربه في الماضي التي تشكِّل حاضره وترسم أحلامه، ومن الصعب عدم الاكتراث بها.. فكيف لابن أن يتجاهل ذِكرى والده السادي كلما رأى طفلًا مع والده تذكَّر ألم السياط على ظهره؟ كيف لامرأة ان تتجاهل ذكرى زوجها الخائن كلما سمعت أول أغنية سمعاها معًا؟ كيف لإنسانٍ أن يتجاهل ماضيه المشين وقراراته المخجلة حين يدرك معدنه الطيب الذي كان يستحق ماضيًا أفضل؟!.. فكم مقدار تلك اللا اكتراثية التي تقوى على أن تمنحنا ذلك السلام والقدرة على التجاوز؟!

اللا اكتراثية والتجاهل وجهان لعملة واحدة تدعى التسامي على الموقف.. والذي يعتبر من أكثر أساليب الدفاع النفسية نضوجًا، فمن يقوى على إتقان التجاهل لا يقوى على إدارة حياته فقط بل إدراة عالم بأكلمه!.. ولكي يتحقق التجاهل يجب أن يحدث تقبُّل وهو ما يخشاه كثيرون فيرتمون عاجزين في أحضان الإنكار والتبرير، رافضين تقبُّل الواقع أو الاعتراف بالحقيقة.. فإن كان الوضع مقززًا يجب أن نتقبل ذلك

https://jadidpdf.com

التقزز حتى يمكننا أن نقرر إن كنا سنتجاهله أم لا، ولكن فكرة الانسياق وراء وهم جميل أو أكذوبة ساحرة للتنصل من واقع نرفض تصديقه، تبقينا في صراعٍ مؤلمٍ من الانتقام الداخلي والمحاربة غير الضرورية لطواحين الهواء.

صعوبة فن التجاهل تظهر في إحكام السيطرة وليس العكس، فيعتقد عموم الناس أن الشخص المتجاهل قد تم إجباره لعجزه عن التعامل فلجأ للتجاهل كوسيلة إنقاذ، والحقيقة أن التجاهل لا يمكن أن يتحقق بدون سيطرة، سواء سيطرة على انفعالات الشخص الداخلية أو سيطرة خارجية تظهر في قراءة حكيمة للموقف القائم، فبتجاهُلك لا يعني أنك لن تتأثر بالنتيجة بل يعني أنك مدرك النتيجة وعواقبها ومع ذلك قررت بكامل إرادتك أن تتجاهلها..

"الشيء الوحيد الذي ينمو مع السنين هو قدرتك على الانفصال لا على المقاومة."

الشاعر الإيطالي "تشيزاري بافيزي"

فكل المطلوب للوصول لأبجديات فن التجاهل وبدايات السلوك اللا اكتراثي هو رغبة قوية في السيطرة المنتبهة، مع حتمية الإيمان بضرورة النضج.. فحقًّا لا يوجد إلا التجاهل مُتنفسًا حين تتفاقم التفاهات من حولك.

https://jadidpdf.com

شعور بعدم الاستحاق

"من سيجوب هذا المكان الموحـش؟" الكاتبة "سيلڤيا بلاث" تصف قلبها

"- هل عرفت الآن سِرَّ قوتي؟!

- لم أنتظر يومًا أن يحبني أحدٌ."

من فيلم The godfather للكاتب العالمي "ماريو بوزو"

كثير ما يتخيل البشر أن الحب هو أحد أشكال الضعف؛ فهو قائم على فكرة الاحتياج، والحاجة في مضمونها هي نقصان ينتظر السد وهذا هو جوهر الضعف!! فيرى الكثيرون أن في الحب أنت معتمد على آخر ليمنّ عليك بتلك المشاعر، فأنت رهن حالته المزاجية والنفسية..
فالأقوى ألا تصبح في هذا الوضع المرير من الحاجة، فكما يقول المثل الأفريقي: "إن أردت أن تذهب سريعًا فاذهب وحدك".. ولكن الحقيقة أن له بقية وهي: "ولكن إن أردت أن تذهب لأبعد مكان فاذهبوا معًا).

https://jadidpdf.com

شعور الفرد بعدم أحقيته في الحصول على الحب أو التعاطف، ربما يكون في الأصل نابعًا من المجتمع؛ فالمجتمع نجح في تثبيت فكرة العطف أو احتواء الآخر وكأنها هبة منه على الآخرين، ولكنها هبة بمقابل، على الآخر أن يردّه مسبقًا بتضحيات على المستوى الشخصي والسلوكي!!.. فبغض النظر عن سلوكيات النفاق أو الاستجداء المطلوبة من الفرد حتى يحصل على قليلٍ من الحب المشوَّه، أيضًا على مستوى القناعات الشخصية، هناك نسبة ليست قليلة في هذا العالم تقايض حبهم للفرد بمدى التزامه بقناعاتهم أو أفكارهم الضمنية.. فتصبح المعادلة هي إما أن تكون هكذا أو لن تستحق الحب! فأي نفس حرة ترضى بهذا القيد؟!

فتلك الأزمة خلقَتْ بداخل أغلب اللا مكترثين تصوُّرًا عدائيًّا تجاه قضية التفاعل مع الحب، وخصوصًا أن لا وقت ولا طاقة لمثل تلك السلوكيات والأفكار غير الناضجة.. وإن كانت أيضًا فجَّرت في نفوس شريحة مهمة من اللا مكترثين تأملاتٍ وتصوراتٍ أعمق عن الحب.

"أنت لا يمكنك أن تنقذ الناس، بل أقصى ما يمكن فعله أن تحبهم".. الكاتبة الأميركية "أنابيز نين"

فأنا لن أنتظر حبك، بل أنا لا أكترث من الأساس إن كنتَ تحبني أو تكرهني.. ولكن مع ذلك أنا قادر على حبك، ليس منحصرًا في حب عاطفي رومانسي مراد به علاقة جياشة متهيجة بل حب أشمل وأوسع لمقاومة شعوري الداخلي بعدم الاستحقاق للحب! من هنا تظهر القوة على تقبُّل النفس والمقدرة على الانعزال والزهد.

فأول من يستحق أن تحبه هو نفسك، وأول من يجب أن تبحث عن

https://jadidpdf.com

صلاحية حبه لك هو نفسك، فالعديد من الأشخاص نجدهم محاطين بالأصدقاء والأحبة، ولكن إحساسهم بالتغرب النفسي ويقينهم المتجذر بعدم استحقاقهم للحب ينصهر في قلوبهم كنارٍ تحرق كل معاني السلام والسكينة الداخلية، على عكس أشخاصٍ نجدهم في مخابئهم متوارين عن الأنظار شبعى نفوسهم بالرضا والحبِّ.. فهولاء لم يجروا وراء اهتمامٍ أو انتباهٍ، بل كان كل ما فعلوه أنهم آمنوا بالحب.. والحب وحده عرف طريقه لقلوبهم، فلم ينتظروا مقابل أو أرادوا منه غاية، بل كان الحب نفسه هو أسمى الغايات..

"فيأتي الحب ليقول للإنسان: إنك مازلت إنسانًا.. أنت لست آلة.. أنت محبوب وقادر على أن تحب.. أنت مرغوب لذاتك لأنك أنت.. فليس مطلوبًا منك مجهودًا لكي يحبك أحدٌ.. يكفي أنت.. مجرد أنت كما أنت.. بشكلك المتواضع وإمكانياتك المحدودة.. مطلوب فقط براءتك وتلقائيتك وعفويتك وبساطتك.. يأتي إنسان ليقول لك: أحبك. هنا تشعر أنك أهم إنسان فى العالم، أنك ملك الملوك." من كتاب "معنى الحب" للدكتور عادل صادق

رغبة في الفهم

"لَا أحد مَوْضَعَ ثقةٍ عندي. عائلتي لا تَفْهَم شيئًا. أصدقائي لا أريد مُضَايَقتهم بهذه الأمور، ولا أصدقاء حقيقيون عندي. وحتى لو كان لديّ نوع مِن الحميمية مع أحدهم، على مستوى عَاديٍّ، فلن يكونوا على

https://jadidpdf.com

النحو الذي أفْهَمُ به الحميميَّة. أنا كائن خجول. لا يروقني إطلاع الآخرين على انشغالاتي. أصدقائي الحميمون هُمْ مِن لِدَاتِ تصوُّراتي، مِمَنْ أحْلم بهم في يقظتي، مِمَّن لَنْ أمتلكهم أبدًا. مَا مِن شكل من أشكال الكينونة يَنطَبِقُ عليَّ، ليس ثمة أي طبْعٍ أو مزاجٍ في هذا العالم قادِرًا على أن يعكس أدنى فرصة للدنوّ مِمَّا أَحْلُم به كصديق حميم. لندع هذا كله مرة واحدة." فرناندو بيسوا

"الشخص الوحيد الذي أعرفه ويتصرف بعقل هو "الخياط"؛ فهو يأخذ مقاساتي من جديد، ففي كل مرة يراني.. أما الباقون فـيستخدمون مقاييسهم القديمة، ويتوقعون منّي أن أناسبها!".. جورج برنارد شو

"قد توجد نار عظيمة في أرواحنا، لكن لا يأتي أحد ليستدفئ بها، ومن يمرون بنا لا يرون إلا خيطًا رفيعًا من الدخان.".. فان جوخ

هناك اعتقاد شائع أن حاجة الإنسان النفسية الوحيدة، هي أن يكون محبوبًا.. وكأن لو تم ذلك ستنفرج أغلب مشاكله النفسية والعاطفية، ولكن أعتقد أن الفنانة "مارلين مونرو" وغيرها كثيرين من أصحاب العديد من المعجبين والآلاف من المحبيين ربما تكون لديهم وجهة نظر مختلفة.

https://jadidpdf.com

مشكلة من مشاكل الإنسان في العموم واللا مكترث بالأخص، أن الآخر يرى ما يريد أن يرى.. فلا أحد يبذل مجهودًا لكي يرى الوضع كما هو قائم.. ففي الحب يحدث أن تكون المشاعر صادرة من الإنسان المحب للمحبوب بدون أدنى مقابل أو حاجة لمردود، فأنا أحبك مهما كانت حالتك أو وضعك، وبالرغم من عظمة تلك العملية الإعجازية إلا أن في الكثير في الوقت يطالب الإنسان بآخر يخوض في أعماقه ويحاول أن يدرك ما به من أفكار وانفعالات.. فيعلنها "جورج أوورويل" في روايته 1984 ويقول: "فربما الشخص لا يحتاج أن يكون محبوبًا على قدر ما يكون مفهومًا"؛ فالفهم هو حجر الأساس في تحويل هذا الحب لعلاقة تفاعلية متجسدة بها مظاهر الاهتمام والرعاية والحرص على الوصول الحقيقي للآخر.. فهي بداية خطوة الامتزاج النفسي والعقلي مع من نحب.

فالموضوع أشبه بمريضٍ ربما كل الأطباء يتعاطفون مع مرضه ويحبونه كإنسانٍ يحتاج للرحمة والعطف، ولكن طبيبًا واحدًا فقط هو من يحرص حقًّا على فهم معاناته ومحاولة استيعاب شكوته.. ولكن الأغلب لا ينجذب لفكرة الفهم لسبب أنها تحتاج مجهودًا ووقتًا فيقفزون سريعًا لبند الحب والعشق بدون محاولة ساعية في فهم الآخر، فكل لا مكترث يعاني من تعقيدات شديدة في إدراكاته لدواخل الحياة تصبح حاجته لإنسان يتفهم تلك المعضلة في شدة الصعوبة! فالبحث يكون

https://jadidpdf.com

على من يفهمه أو بمعنى أدق من يسعى لذلك، البحث على مَن لا يقف بعيدًا يدعي حبه وعشقه وهو لا يكاد ينفق دقيقة من عمره على أمل فهمه أو رغبة في التواصل الواعي معه.. فربما كما قال "نجيب محفوظ":

"لن يفهمك إلا اثنين: أحدهما مرَّ بحالتك، والآخر يحبك جدًّا.."

بناء الحب

في يوليو سنة ١٩٢٣، وبعد شهرين تقريبًا من لقائهما، كتب الروائي الروسي الكبير "فلاديمير نابوكوف" إلى "ڤيرا" - والتي أصبحت لاحقًا زوجته- رسالة، وجاء نَص الرسالة كالآتي:

"لست معتادًا على أن يفهمني أحد، لست معتادًا على هذا لدرجة أنني اعتقدت في الدقائق الأولى من لقائنا أن الأمر أشبه بمزحة، ثم.. هنالك أشياء يصعب الحديث عنها، لكنك تستطيعين التخلص من كل طبقات الغبار فوقها بكلمة واحدة.. أنتِ لطيفة.. نعم، أحتاجك، يا قصّتي الخياليّة،؛ لأنكِ الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث معه عن ظل غيمة، عن أغنية، فكرة، عن الوقت الذي ذهبت فيه للعمل ونظرتُ إلى زهرة عبّاد شمس، ونظرتْ إليّ، وابتسمتْ كل بذرة فيها. أراكِ قريبًا يا متعتي الغريبة، يا ليلتي الهادئة. كيف بإمكاني أن أفسر لكِ سعادتي، سعادتي الرائعة الذهبيّة، وكيف أنني ملكٌ لكِ، بكل ذاكرتي، بكل قصائدي، بكل ثوراتي، وزوابعي الداخليّة؟، كيف بإمكاني أن أشرح لكِ أنني لا أستطيع كتابة كلمة واحدة دون أن أتخيّل طريقة نطقكِ لها – ولا

https://jadidpdf.com

أستطيع تذكُّر لحظة واحدة تافهة عشتها دون ندم لأننا لم نعشها معًا، سواءً كانت أكثر اللحظات خصوصيّة، أو كانت لحظةً لغروب الشمس، أو لحظة يلتوي فيها الطريق – هل تفهمين ما أقصد؟ أعلم أنني لا أستطيع إخبارك بكل ما أريد في كلمات- وعندما أحاول فعل ذلك على الهاتف، تخرج الكلمات بشكل خاطئ تمامًا. وعلى من يتحدث معك، أن يكون بارعًا في حديثه.. لقد دخلتِ حياتي، ليس كما يدخل الزائر، بل كما تدخل الملكات إلى أوطانهن، وجميع الأنهار تنتظر انعكاسك، كل الطرق، تنتظر خطواتك. أحبكِ كثيرًا. أحبك بطريقة سيئة (لا تغضبي، يا سعادتي). أحبكِ بطريقة جيدة. أحب أسنانكِ.. أحبكِ، يا شمسي، يا حياتي، أحب عينيكِ، مغمضتين، أحب أفكاركِ، أحب نطقك لحروف العلّة، أحب روحك بأكملها من رأسك حتى قدميك."

هناك أزمة في التعامل مع الحب وهو أننا غالبًا ما نبحث عن الحب ولا ندرك أن الأصل هو بناؤه.. فتصبح أكبر أمانينا أن نجد الشخص الذي بوجوده يظهر الحب، وفور الوصول له يتوقف البحث وتنتهي الرحلة، وكأن هذه هي المحطة الأخيرة!! ولكن ربما في اللاكتراث عبرة أخرى..

من الطبيعي في حياة الفرد أن يسعى ويجتهد حتى يصل لضالته في هذه الحياة فإن كانت مثلًا: (نجاح في سنة دراسية، حصول على وظيفة معينة، ارتباط بشريك عاطفي.. إلخ) وتكون غبطة الفرد وسعادته نتيجة المردود العائد عليه مقابل حصوله على ما يطمح له.. فإن كنت تسعى للنجاح ونجحت، فأنت سعيد لأنك بهذا النجاح ستحقق إنجازات وتبلغ أرفع المناصب.. هكذا في الحب، سعادتك بالوصول لشراكة مستمرة في حبيبك العاطفي ناتجة عما ستحققه مع هذا الشريك من آمال وتوقعات بمعيشة سارة.. ولكن هناك ما يشوب ذلك الطبيعي! فتنحصر سعادة البعض في مجرد الوصول للشيء وليس التمتع بالشيء.. فكأنها سعادة الاستراحة النهائية..

https://jadidpdf.com

ولكن ما سبب تلك الأزمة؟

فمن عيوب زحام العالم والانشغال بالتفاهات الاجتماعية، أن الفرد العام بات يتعامل مع قضية الحب كمثل وجبة.. مع ظهور الجوع يذهب للمطعم لسد حاجته وحتى وإن قرر أن يطبخ لنفسه، كرس كل مجهوداته وأفكاره نحو اختيار المقادير الجيدة، دون الانتباه للمتعة الجمة الصادرة بالتلذذ بالطعام نفسه وما يمكن أن يشعر به بعد هذا الطعام الشهي.. فتصبح السعادة عند الوصول عند تلك المحطة الأخيرة، فلا يدرك الإنسان ماذا سيفعل فور وصوله ما دام كل ما يصبو له هو مجرد الوصول والحقيقة أن في الحب، التعامل لا يكون على أساس محطات نصل لها وتنتهي معها رحلتنا مع الحب.. فالمراد ليس إيجاد الحبيب المثالي بل خلق الحب المثالي، فهي ليست قضية سد حاجة بل قرارًا واعيًا بالحياة.

فَكَلَا مكترث لا يؤثر فيه دفعٌ اجتماعيٌّ أو تساؤلٌ قاسٍ عن إن كان هناك حب في حياته أم لا.. ولا يبحث عن الحب لافتقاره أو جوعه، ولكن من شدة امتلائه به يحلم أن يشاركه مع كائن آخر ليكون كنفسه.. لا يؤمن بمحطات أخيرة أو يعيش بشكل مستنزف فيسير في حياته مكبلًا بضغوط الخطوة القادمة! فكل ذلك يجعل من اللا مكترث متفننًا في ممارسة قصص الحب، فربما نجد العديد من الفلاسفة والمفكرين والمختلفين عبر التاريخ مالوا لفكرة عدم الخوض في قصة عاطفية لأنهم فقط لم يجدوا ما طمحوا فيه ، ولكن وقتما نجدهم انخرطوا في حب حقيقي تظهر لنا أعظم القصص وأجمل رسائل الحب.. فلا يكتفي العاشق الصادق بوجود حبيب بل يعمل على بناء الحب بينهما لتتبلور كل مشاعره وتتجسد كل مقاصده الوجدانية..

https://jadidpdf.com

"فالأشياء البسيطة لا تُفهم أبدًا إلا في النهاية، بعد أن يكون المرء قد جرَّب جميع التعقيدات".. دوستويفسكي

اللا مكترث فكريًّا

الكاتب "ميلان كونديرا" في رائعته (الخلود) طرح تساؤلًا في غاية الأهمية ومضمونه أن أي العبارات أقرب لكينونة الإنسان: هل (أنا أفكر إذًا أنا موجود) أم (أنا أحس إذًا أنا موجود)؟!.. القصة بدأت مع المفكر الفرنسي "رينيه ديكارت" صاحب مقولة (Je pense donc je suis) والتي تعني (أنا أفكر إذًا أنا أكون) وليس كما وصلت لنا (إذًا أنا موجود) والحقيقة أن وجود الإنسان يختلف عن كينونته، فوجوده أقرب ليكون وجودًا ماديًّا يشكِّل حيزًا من الفراغ على عكس كينونته التي تتعدى حاجز الحدود المادية!.. ولكن رجوعًا لكونديرا ماذا يحدد كينونة الإنسان؟ إحساسه أم فكره؟!! فيقول كونديرا في هذا الصدد:

"أنا أفكر، إذًا أنا موجود، ذلك قولُ مثقفٍ يُسيء تقدير قيمة ألم الإنسان. أنا أحس، إذًا أنا موجود، تلك حقيقة لها قوة أكثر.. عمومية بكثير وتخص كل كائن حي؛ فلا تتميز أناي عن أناكم بالفكر بشكل أساسي.. هناك بشر كثيرون وأفكار قليلة. إننا إذ ننقل أفكارنا أو نقتبسها أو يسرقها أحدنا من الآخر، نفكر جميعنا بالشيء نفسه تقريبًا، أما حين يدوس شخص ما فوق قدمي، فأنا وحدي من يحس بالألم. ليس الفكر هو أساس الأنا، بل الألم، أكثر الأحاسيس أولويةً.. في الألم لا يمكن للقطة أن تشك بأناها الفريدة وغير القابلة للتبديل. عندما يصبح الألم حادًا، يتلاشى العالمُ ويبقى كلٌّ منّا وحيداً مع نفسه.. فالألم هو المدرسة الكبرى للأنانية."

https://jadidpdf.com

فمن كلام "كونديرا" نستشف أنه يرمي مسئولية كيان الإنسان ناحية الإحساس وإن عبَّر عنها بالألم.. ولكن أليس هذا انتقاصًا من قيمة فكر الإنسان؟.. والحقيقة أن هذا ليس انتقاصًا من قيمة الفكر قدر ما هو إعلاء لقيمة الإنسان نفسه؟! فالإنسان هو ما يصنع الفكر وليس العكس.. الأفكار بالرغم من عظمتها ومقدرتها الجبارة في تغيير الشعوب وصناعة الحضارات إلا أنها في النهاية فكرة وليدة الإنسان وهذا ما يعلمه تمامًا كل لا مكترث..

فبالرغم من تقدير اللا مكترث لفكره، إلا أنه لا يمكن أن يكون عبدًا أو خاضعًا لأفكاره، وحتى وإن كانت صنيعته الشخصية وليست دخيلة عليه، ففي النهاية هي أفكار ستتغير أو ستتطور.. أفكار صنعتها إدراكات حالية ربما ستصنع غيرها في وقتٍ آخر.. ومع ذلك تبقى الفكرة هي المحرِّك الأساسي للإبداع والحياة.. هي القوة والأمل.. هي الصخرة التي يقف عليها الإنسان ليصبو لحلمه ويلامِس سماء مستقبله.. فإنسان بلا فكرة حقًّا إنسان بلا وجود..

التعود والنمطيون

"أينما ذهبت يصاحبني الإحساس ذاته بعدم الانتماء، بكوني غيرُ مفيد وأحمق ودجالًا، ليس بالنسبة للآخرين وإنما بالنسبة لنفسي، أتظاهر بالاهتمام لأشياء لا تُثير إعجابي حتى ألعبُ بعض الأدوارِ إما جُبنًا أو حفاظًا على المظاهر."

إميل سيروان

سنة 2011 أصدر الكاتب "ياسر حرب" كتابه: "بيكاسو وستاربكس"

https://jadidpdf.com

والذي خصَّ فيه فصلًا بعنوان "النمطيون"، فيقول:

"النمطيون لا يحبون أصحاب الأقلام، ولا أصحاب الفُرَش الملونة.. فعندهم لونان: أبيض وأسود. لايؤمنون بمزجهما حتى لا تكثر المساحات الرمادية في حياتهم. فاللون الرمادي بالنسبة لهم خروجٌ عن المألوف وهي حيرة تشتت تركيزهم المنصبّ على الكسل ليتحول القلم في يد النمطي إلى بندقية ضد من يخالفه الرأي، فالبندقية أكثر نفعًا -كما أخبروه لا كما قرأ-.. يخوض النمطي نفس المعارك ليحصد نفس الغنائم.. إن من يحمل قلمًا عليه ألا يخشى ممن يحمل بندقية، فالأقلام لا تصدأ والبنادق لا تورَّث، يؤمن النمطي بأن الحياة وضعت لفتنة الإنسان ولا يدري أن الإنسان هو الذي يفتن الحياة بنيّته وبعمله.. أيضًا يسعى النمطيون إلى اكتشاف حياة ما بعد الموت وينسون أن يكتشفوا حياة قبل الموت. هؤلاء لا يخشون الجهل بل يخشون المعرفة؛ لذلك لا يعرفون كيف يتعاملون مع أصحابها.. إن وأد الأفكار و اغتيال الآراء وإخماد الحوارات البناءة هي أفعال نمطية يتنطع بها بحجة الحفاظ على عقول الناس، ولكن العقول لم تخلق لكي تراعى مثلما تراعى البهائم.. النمطيون يكررون أنفسهم كثيرًا، يبدأون بنقطة ما، وينتهون عند نفس النقطة ثم يشعرون بالسعادة لأنهمم يعتقدون أن سعيهم قد قادهم إلى نتيجة!! والنمطيون لا يملّون لأنم لا يعرفون غير الملل عملًا ويعتقدون أن السلام كامنٌ في البساطة ولا يدرون أنهم يخلطون بين البساطة والسطحية؛ فالبساطة: أن تقوم بعمل عظيم

https://jadidpdf.com

دون تكلُّف. والسطحية: أن لا تقوم بأي عمل.

النمطية وهي بمعناها اللغوي السير على وتيرة واحدة.. ولكي يصل الإنسان للتعود بالنسبة لعادة أو سلوك معين عليه أن يتحرك بنمط تدريجيّ لتلك النقطة وأي تغيير في ذلك النمط يمكن أن يكلف بداية جديدة لإتقان التعود، وأيضًا حتى يتعامل الإنسان مع النمطية كأسلوب حياة عليه أن يتقن فن التعود.. ولكن لماذا يتعود الإنسان؟ لماذا لا يقاوم ويتمسك بطبيعته الأولى؟ لماذا يوجد نمطيون؟!.. في كتابه (بيكاسو وستاربكس) يذكر "حرب" مصطلح " الأمان المعرفي" والذي يرجع له ندرة المبدعين في العالم الثالث؛ وهو أنهم يفتقرون لشعورهم بأمان تجاه اعتناقهم لأفكاره الشخصية، فهم معرَّضون في أي وقت للرفض أو حجر بسبب أفكارهم المختلفة.. ولهذا وُجِدَ التعود.

كثيرًا ما يعتقد البعض أن التعود هو بمثابة استسلام شامل وتنازل كامل عن المبادئ والقيم الخاصة بالإنسان، والحقيقة أن التعود هو من أهم سمات الذكاء الاجتماعي.. فكإنسان لا مكترث غالبًا ما يحتك بسخافات ومضايقات ويكون الحل للتعايش مع مثل تلك الحماقات هو التعود، فالجميل في الأمر أن من يمارس عليه تلك السلوكيات المزعجة في معظم الأوقات يكون ذا عقلية نمطية بحتة يسهل التعود على أساليبه والتأقلم مع انفعالاته.. فيكون التعود على التعايش مع عالم نمطي، وليس التعود للتحول لكائن نمطي..! فها ذلك المتعصب

https://jadidpdf.com

يسب ويلعن، وصديقنا اللا مكترث ينظر له في هدوءٍ وشفقة.. ها الحاكم الظالم ينادي بقيم المساوة والعدل وصديقنا اللا مكترث يسمع ضاحكًا على كذبه وجبنه.. ها العالم يثور من حوله في مستنقع الأحداث المكررة البائسة وصديقنا اللا مكترث مازل يحتفظ بسلامه المزاجي وطاقته اللا اكتراثية.. فقد تعود على نمطيتهم حتى صار لا يدهشه كلامهم أو تحرّك له ساكن أفعالهم..

ففن التعود بالنسبة للّا مكترث هو فن المرونة الاجتماعية مع الصمود على المبدأ، فأصحاب الأفكار الخشنة وإن كانت عظيمة، بمثابة مقابر جاحمة لأفكارهم، ولكن الحكمة في تقديم فكرك بلغة مستمعيك، ربما يميل اللا مكترثين بعدم الاهتمام بمثل تلك الأمور فيسمع من يسمع ويرفض من يرفض، غير منتبهين للغة أو حتى طبيعة المستعمين، وإن كان الشريحة الأكبر تعي حقيقة أن الصدام قادمٌ قادمٌ لا ريب فيه.. فلا داعي لاستقدامه بتصلبات وتشنجات ترمي لمجهود إضافي وعبء غير مطلوب.. فيتركون أنفسهم كأموات بين يديْ التعود ليجهزهم ويعدّهم للحياة النمطية.. فكما صوَّرها المفكر "ممدوح عدوان" في كتابه: (حيونة الإنسان) وقال:

"تعرف ماذا تعلمنا يا أبي؟ ذات يوم شرحوا لنا في المدرسة شيئًا عن التعود. حين نشمّ رائحة تضايقنا فإن جملتنا العصبية كلّها تنتبه وتعبِّر عن ضيقها، بعد حين من البقاء مع الرائحة يخفّ الضيق. أتعرف

https://jadidpdf.com

معنى ذلك؟ معناه أنّ هناك شعيرات حساسة في مجرى الشمّ قد ماتت فلم تعد تتحسَّس. ومن ثمّ لم تعد تنبِّه الجملة العصبيّة. والأمر ذاته في السمع، حين تمرّ في سوق النحاسين فإن الضجّة تثير أعصابك. لو أقمت هناك لتعوّدت مثلما يتعوّد المقيمون والنحاسون أنفسهم. السبب نفسه: الشعيرات الحساسّة والأعصاب الحساسّة في الأذن قد ماتت. نحن لا نتعوّد يا أبي إلا إذا مات فينا شيء! فتصور حجم ما مات فينا حتى تعودنا على كل ما يجري حولنا."

ما بين اللا اكتراث واللا انتماء

"لقد توصلت الآن إلى أن أؤمن بأن عنصر المشاركة يكاد يكون معدومًا بين الناس.. إنهم يحسون أنك تتألم، ولكنهم لا يعرفون كم تتألم، وليسوا على استعداد أبدًا لأن ينسوا سعادتهم الخاصة من أجل أن يشاركوا الألم.. وعلى هذا فعلينا أن نتألم بيننا وبين أنفسنا.. وأن نواجه الموت كما يواجه واحد من الناس الآخرين نكتة يومية.. وهذا يجعل من الإنسان عالمًا بلا أبعاد، ولكنه في الآن ذاته، عالم مغلق على ذاته."

الكاتب الفلسطيني "غسان كنفاني"

مَن يهرب مِن مَن؟ هل يهرب الناس من اللا مكترث أم هو يهرب منهم؟!.. فمما لا شك فيه أن كل لا مكترث يتمتع بمقدارٍ لا بأس به من الأفكار المختلفة والإدراكات الغريبة التي تكاد تكون مثل حدود قاطعة مرسومة من حوله، وتلك الحدود كفيلة بأن تبث المخاوف في نفوس كل من يحيط به.. فهم غير معتادين على التعامل مع ذلك غير

https://jadidpdf.com

الاعتيادي.. لربما يصيبهم مكروه أو يتأذّون من جراء الاقتراب منه. كمريض باتت أفكاره وآراؤه عدوى تهدد وجودهم الروتيني بالخطر! وعلى الصعيد الآخر، لا يحاول اللا مكترث الانخراط المفرط في هذا العالم، بل يرى أن تجنبه أكبر قدر ممكن من المواقف الحياتية بمثابة فرصة ذهبية للنجاة.. فالهروب مسعى متبادل بين العامة واللا مكترث..

ولكن ماذا يحدث لمن يقضون حياتهم خائفين من التعبير عن آرائهم؟؟ يرد "إيفان كليما" في روايته (لا قدّيسون لا ملائكة) أنهم على الأرجح يتوقفون عن التفكير أو يعتادون على الكلام الفارغ!.. ولكن أيهما يقوم به اللا مكترث؟!.. فالحقيقة أن اللا مكترث لا يميل لفكرة الكلام الفارغ أو حتى ينجذب لخيار التوقف عن التفكير، بل هو من الأساس لا يخاف التعبير عما داخله ليلجأ لأحد تلك الاختيارات! بل إن أزمته الحقيقية أنه لا يجد من يحق له استيعاب ما داخله.. فالهروب من العالم بالنسبة للّا مكترث ليس بدافع الخوف من التعبير عن رأيه قدر ما هو حرص وإعلاء لشأن هذا الرأي.. فأي مكافح مستعد أن يرمي قوت يومه في الشوارع لتدوسه الناس؟!.. فعندما يجتهد الإنسان في ولادة فكرة يحرص على حمايتها كابنة له لا يتركها ضحية لمخربين أو خاطفين بل يحرص على تواجدها في المكان المناسب مع من يستحقوها! فكما يعبر الكاتب الإيراني "صادق هدايت":

"تَعلمت في النهاية أنه يَنبغي أن أظل صامتًا قدر المُستطاع، وأن

https://jadidpdf.com

أحتفظ بأفكاري لنَفسي فقط."

فلعنة اللا اكتراث أنها قبل أن تسلخك من العالم تسلخ العالم منك، لتصبح وسط مجتمع بروحك وفكرك ونفسك أنت بعيد كل البعد عنه!.. فتمحو بداخلك أي انتماءٍ مادي أو دنيوي يربطك به ليصبح انتماؤك الوحيد لفكرك ومعتقدك، فأنت لا تهتم بمصير هذا العالم أو حتى تكترث لمتابعة أخباره، ولكن مع ذلك هناك صوت متأصل في ثنايا إنسانيتك، لصيق لجوهرك الواعي ومنبثق من قيمك ومبادئك الحية ، يهمس في ذاتك بالالتزام بما تؤمن به وتصدق في حق وجوده.. ليصبح اللا انتماء هو التابع الحتمي للّا اكتراث، فيقول المبدع "كولن ولسن" في كتابه (اللا منتمي):

"إن مشكلة اللا منتمي ليست جديدة، ذلك لأن لورنس يلفت نظرنا إلى أن تاريخ الأنبياء يتبع نموذجًا معينًا، فيولد النبي وسط الحضارة، ويرفض مقاييسها عن الوجود المادي الممتاز، فيعود إلى الصحراء ثم يرجع ليبشر بنبذ العالم، بالشدة الروحية ضد الطمأنينة الجسدية، فشقاء اللا منتمي إذًا هو شقاء الأنبياء، إنه ينسحب من غرفته كالعنكبوت في الزوايا المظلمة، ويعيش وحيدًا، راغبًا عن الناس.. لنرى في "الحياة السرية" أن اللا منتمي منفصل عن الآخرين بذكائه الذي يحطم قيم الآخرين بلا رحمة، ويمنعه عن التعبير الذاتي (فرض نفسه) لعدم استطاعته استبدال تلك القيم بقيم جديدة، فمشكلته إذًا هي أن لا شيء يستحق بذل أي مجهود."

https://jadidpdf.com

مراحل التطور الفكري

هناك تدرج في فكر اللا مكترث.. فلا يوجد لا مكترث مهما كان قد توصل لأي مرحلة فكر متقدمة دون المرور بمجموعة سابقة من مراحل تطور الفكر، فالتحرك والانتقال من مرحلة فكرية لمرحلة أخرى هو ما يعزز أي فكرٍ ويساعده على البقاء والنضوج، أما الثبوت أو الجمود قاتل لأي حالة إبداعية أو تسلسل منطقي. وهكذا فكر اللا اكتراث.

1- المرحلة الأولى: الظلام (اللا اكتراث)

في هذه المرحلة يكون الشخص غير مدركٍ بعد لإمكانية وجود عالم آخر مختلف تمامًا عن العالم الذي نشأ فيه، عالم بقيمٍ وأفكارٍ وسلوكياتٍ مخلفة.. عالم وإن كان ليس بمعناه المادي إنما بمعناه الوجودي والمعنوي يحمل مفاهيم أعلى من مستوى تخيُّله وطموحه وهو عالم اللا اكتراث للسطح، ولكن التعمق في الجوهر!.. فهو ما زال منحصرًا في تعاليم الجزيرة المنعزلة التي ترعرع بها، منطويًا على تقاليدها المحافظة وأعرافها القديمة، يكترث بشدة لأدق تفاصيلها، ويحرص على شكلها الروتيني الضامن لوجوده كنسخة مدفونة كملايين النسخ المكررة.. فهنا هو اكتراثي بكل ما يؤثِّر على هذا العالم،

https://jadidpdf.com

بل هو جزء أصيل لا ينفصل عنه ولا يقوى حتى عن الانفصال..

"الناس سوف يتسببون في قتلِك بمرورِ الوقت، وسوف يفعلون ذلك باستخدامِ جُملٍ وعِباراتٍ صغيرة جدًّا وغير ضارة مِثل "كُن واقعيًّا."
"ديلان موران"

2- المرحلة الثانية: الصراع

وهنا، لسببٍ ما، يحدث تذوق أو معرفة مجردة لعوالم مختلفة، كشرارة لتنبيه هذا الإنسان أن الحياة لم توجد له فقط ولا هو موجود لها فقط.. بل هناك علاقة معقدة تجمعهما، والثابت الوحيد في المعادلة هو المعنى، فتبدأ رحلة البحث عن المعنى وسط خوف وقلق من المجهول.

أو كما قال الكاتب "أوليفر هولمز": العقل المتعصب يشبه بؤبؤ العين، كلما زاد الضوء المسلَّط عليه، زاد انكماشه! فإما يختار القرار بالاستمرار في حل تلك المعضلة أو الانكماش في الظلام المريح بكل اطمئنانٍ وهدوءٍ.

3- المرحلة الثالثة: النور

"إن الامتناع التام عن الشك في المسلَّمات قد يجعل التقدم مستحيلًا.. ولكن الشك المستمر في المسلَّمات يجعل الحياة نفسها مستحيلة."

https://jadidpdf.com

"جلال أمين" من كتاب (التنوير الزائف)

الوصول لتلك المرحلة يعني انتصار كفة العالم الجديد في حياة الإنسان.. فهناك نور أجمل وألمع من ذلك الظلام الأسود القاتم ويستحق المجازفة للوصول إليه، فسحقًا على سنين أمضيتها في البحث عن فضلات سطحية لمجتمع لا يستحق أي ذرة مجهود أو أي ثانية وقت.. فإعادة ترتيب الأولويات ضرورة لا جدال فيها.. فينصرف عن هذا العالم القديم ولا يكترث لما يربطه به، بل يمضي في هجرة لا عودة منها نحو العالم الجديد.. نحو النور.

4- المرحلة الرابعة: الغرور

ما يميز الإنسان عن أي كائن حي هو اعتزازه المضخم بالأنا.. فمهما كان الشخص من مقدار مقبول من التواضع إلا أن سحر انتفاخ الأنا له مفعوله الأسطوري، فبالرغم من أن جمال العالم الجديد يناديه ويحثه على الانسلاخ من عالمه البالي القديم إلا أن الانفصال لا يحدث بسهولة أو في غمضة عين ولتصعد رواسب آثار النقص والضعف البشري في احتقار الآخر والتعالي عليه.. وهذا ينافي أبسط قيم اللا اكتراثية والتي تؤمن بأن كل إنسان كيان قائم بذاته غير مضطر بمقارنة نفسه بالآخرين أو الانتقاص من قَدْرهم والحط منهم.. فكما يقول الكاتب "محمد الرطيان" في (الوصايا):

"الجاهل: يظن أنه يعلم الكثير.. أما العالم: يعلم أنه يجهل الكثير.. فلا

https://jadidpdf.com

تكن من الذين يجهلون جهلهم."

5- المرحلة الخامسة: انهيار الوهم

يبدأ الإنسان فيها إدراك مدى ضآلة وضعه وحجم إمكانياته المحدودة، فهو أمامه الكثير ليتعلمه عن الحياة ونفسه بل هو قد اختار طريقًا لا نهاية له ولا سقف حدود فيه، فيقول العبقري نجيب محفوظ عن وهم العظمة: "إن الإنسان الذي يتصور أنه ليس له بديل لا يمكن الاستغناء عنه واهمٌ، وإن الحياة مستمرة!"

6 – المرحلة السادسة: البداية من القاع،

كم هو محطم هذا الكائن البشري؟ كم قد مكث طويلًا في ذلك القاع حتى تخيل أنه لن يبصر السماء مرة أخرى وتشوهت عيناه عن رؤية المغزى الحقيقي؟ فرطوبة التعصب والتشدد قد تفشت في كل مساحات عقله وروحه لتجعل منه طفلًا جائعًا لشمس الحكمة.. قد تحجرت نفسه حتى باتت ثقيلة على التحليق وكان حله الوحيد هو تفتيت هذا الجمود وتلك الصلابة بفأس المعرفة والاطلاع.

7 – المرحلة السابعة: الشفقة (النضوج والسلام)

"ستصل إلى النضج الذي يجعلك ترفض التورط بعلاقة مؤقتة، أو صداقة باردة أو جدال أحمق، أو التعلق بالزائفين." دوستويفسكي

https://jadidpdf.com

أهم علامات الوصول لتلك المرحلة هي الشفقة على الآخر ومسامحة جهله، فكما عبَّر عنها "جورج برنارد شو" وقال: "سامحه، فهو يعتقد أن عادات قبيلته هي قوانين الطبيعة!".. والشفقة على النفس وتقبُّل نواقصها، فتهدأ في التعامل مع الأمور الشخصية وتوفر انفعالاتك ولحظات توترك للجسائم والمصائب العظمى ..تتوصل لإدراك نفسك كمحطة عابرة في حياة من حولك لا ترهقها بفرعيات إضافية غير مجدية أو ذات غاية.

8 – المرحلة الثامنة: اللا نهاية

"لن ينتهي الشقاء يا ثيو، فوداعًا.. سأغادر نحو الربيع!) من رسالة انتحار الفنان "فان جوخ" لأخيه "ثيو"

تلك المرحلة تحدث لتكون علامة فارقة في فكر كل لا مكترث يتوهم أن هناك نهاية واحدة سعيدة عندها تتوقف كل الاضطربات! فمن توابع وجود النور، اكتشاف المقدار الحقيقي للعتمة؛ فالسلام لن يكون سلامًا مطلقًا، والنضوج لم يكن يومًا هو خط النهاية.. بل إن الحياة عبارة عن منحنيات صعود وهبوط لا حائل نحو مسايرتها، ففي كل وهلة يعتقد فيها اللا مكترث أن هذا مراده الأخير، تظهر له أحلام ومساعٍ أخرى؛ فحتى على مستوى الفكرة السهلة، هناك ملايين التحليلات المعقَّدة والفلسفات الصعبة التي يمكن أن تسقط فيها تلك الفكرة

https://jadidpdf.com

المسكينة، فما بالك بخليطٍ ضخمٍ من الأفكار المتصارعة والخبرات المنقلبة على نفسها.. فيكون الشقاء غير المنتهي نتيجة منطقية لهذا النهج.. وجبروت اللا مكترث تظهر في ركوب أمواج هذا الشقاء ومحاولة ترويضه.

أعمق مما يتخيل

"قد يكون في أعماق المرء ما لا يمكن نبشه بالثرثرة، فإياك! أن تعتقد أنك تفهمني لمجرد أنني تحدثت إليك." دوستويفسكي

أكثر ما يزعج اللا مكترث هو تخيُّل البعض أنهم يمكنهم الوصول لما بداخله بمجرد النقاش أو حتى المكوث معه لبضع ساعات.. فهو نفسه لم يصل بعد لما داخله!!.. وليست المعضلة فقط أنه كائن لا يهتم بأن يكون مصدر اهتمام أحد أو أنه يرفض أن يجعل من الآخرين مصدر اهتمام له، بل لأن الإنسان ككيان متكامل متحد على ذاته، كثيرًا ما يكون في باطن هذا الكيان التعقيدات والصراعات لا يقوى على حلها أشد الخبراء النفسيين والمفكرين النوابغ.. وشدة الغباء هو التعامل مع مثل تلك الأعاصير النفسية والبراكين الفكرية بنوعٍ من التقليل أو الاستهزاء.. فما يميز فردًا عن فردٍ من الناحية الفكرية هو كيفية تعامُله مع تلك التعقيدات.. فكما قال الأديب مصطفي صادق الرافعي: "ففي

https://jadidpdf.com

كل إنسانٍ تعرفُه.. إنسانٌ لا تعرفُه!"

فمأساة اللا مكترث في تعامله مع هذه التعقيدات، أن حد انعدام المعرفة لم يقف عند الجهل بالشيء أو الاندهاش البسيط بل التخوف والرعب منه، فالإنسان دائمًا ما يرهب كل ما لا يفهمه! فما بالك بإنسان مرتعب بمجهول أوصله إليه عقله؟! ، فرحلة البحث عن الإجابات والتفلسف الحق، تبدأ من تلك اللحظة، لحظة ارتطام النفس بحائط الأفكار الجليلة.. والتي مهما بدت من الخارج لحظة عابرة سهلة الاجتياز إلا أنها كالصدمة الفاجعة هدوؤها في هول وقعتها.. فحالة هدوء اللا مكترث سببها أنه منشغل في حروب مع نفسه وليس العكس.. فتقول الكاتبة الكويتية "بثينة العيسى": "عندما تحدث العاصفة سوف تأخذ الأشياء حجمها الطبيعي في حياتك." فها هي العاصفة تحدث لتخلِف وراءها هذا الكائن الجديد الذي يعيد تشكيل عالمه بصورة أكثر تلائمًا لتلك العاصفة.. فصعقة الواقع تستحق إعادة نظر في ذلك الواقع، كل تلك الترتيبات وإعادة التهيئة تزيد من ظلال الشخص ودهاليز فكره وروحه.."

شيء آخر يسبب ضيقًا عند اللا مكترث هو الرغبة المراهقة التي يتمتع بها البعض في محاولة إشباع فضولهم على حساب خصوصيات الآخر.. فقضية عمق اللا مكترث قضية حقيقة شخصية ليست بداعي التفاخر أو الغرور.. فهو بكل صدق يرى أن ما بداخله من مشاعر

https://jadidpdf.com

وتقلبات مزاجية وفكرية ليس بسلعة أو خزين من المعروضات، فلا يتاجر بما يحس أو ينبح بما يفكر.. فهو معادٍ لكل معاير السفسطائية الـ Sophism والغريب أن لفظ Sophism أصله يوناني، ومعناه الحكمة أو الكلام الحكيم، ولكنه يشير كمدلول لغوي لمدعين الحكمة! فالمقصود به هم الأشخاص الذين يستخدمون الألفاظ المعقَّدة الصعبة والأطروحات القاسية لرسم أكذوبة حول شخصياتهم بعمقٍ مزيفٍ وعقلانية مغشوشة، فالحكيم الحقيقي لا يحتاج لتأييد له، إنه حكيم ولكن لا يكترث من الأساس لأي تأييد أو ترك.. بل يبقى حكمته لنفسه منشغلًا عن العالم بها ومكرسًا كل طاقته لها.. فهو عن حق أعمق بكثير عما هو نفسه يتخيل!

" فمشكلته أنه يعيش الأشياء دون مسميات، يَحب دون أن يعترف، يكاد يقتله الشوق ولا يتحدّث، يتعايش مع حزنه وكأنه نفسه، مشكلته أن المسميات تُرهقه وتتعب قلبه، تكبّله رغم أن الشعور قد فعل."

المدوِّنة "غادة الصالح"

أخلاق العبيد

https://jadidpdf.com

"فرقٌ كبيرٌ بين حرية مبادئ وحرية غرائز".. ألبير كامو

أغلب من يفكر في نظرة اللا مكترث في الحرية، يعتقد أنها حرية جامحة غير معتبرة أي حد في الحياة.. فيظنون أنه شخص لا يهتم بفاصل أخلاقي أو حاجز مجتمعي، بل يفعل ما يحب وقتما يحب ومع من يحب، فهو حُرٌّ حرية المطلق.. ولكن ما هي الحرية؟.. أغلب من يخشى لفظ (حرية)، لا يدرك ما هي الحرية، وما مدى حتمية الحرية في حياة الإنسان وبدوره يغفل عن أهم حقيقة للحرية وهي أن لا حرية بلا حدود.. فببساطة، إذا سلبنا من إنسان حريته فقد حولناه لإنسان غير مسئول عن قراره، حوَّلناه لعبد.. وإذا أيضًا أبحنا له كل الأشياء وهو كان في مقدوره فعل ما يشتهي فهو أيضًا عبدٌ! ولكن في الأولى عبد لنا والثانية عبد لنفسه.. فالعبد هو من لا يقوى أن يكون سيد قراره وإن كان عجز أن يكون سيد قراره على نفسه ذاتها.. فحتى على مستوى مراجع علم النفس فوق كل "أنا" هناك "أنا عليا" للإرشاد والتوجيه.. وذلك ليس انتقاصًا من الحرية بل لرقي مفهومها.

"إن الطاغية يسحق عبيده، ولكنهم لا ينقلبون ضده، وإنما يسحقون من يلونهم في المرتبة.." إيميلي برونتي" من رواية (مرتفعات ويذرنج - الجزء الأول)

من أشهر الأطروحات الفلسفية لـ "فريدريك نيتشه" ما يسمى بأخلاق السادة وأخلاق العبيد.. فيرى نيتشه أن التاريخ والحضارات ما

https://jadidpdf.com

هم إلا تعاقب بين تلك الأخلاق، فكلما استشرت أخلاق السادة انتهضت أخلاق العبيد لتبتلعها وتسيطر على المشهد.. ولكن ما هي أخلاق العبيد؟!.. العبد في وجهة نظر نيتشه هو الإنسان الضعيف صاحب القيم الضعيفة المهترئة، فهي أخلاق النفاق، الخوف، الجهل وغيرها من سلوكيات لا تنمّ إلا عن إنسان خانع مستسلم لطواحين الأحداث.. إنسان مسلوب حق تقرير مصيره وإحداث تغيير جذري في واقع حياته والسبب يرجع لفقدانه إمكانية التمتع بحريته التي فقدتها بإرادته ومعرفته.. فالعبد يسلِّم حريته لعقيدة سادية، لأعراف مجرمة، لسُلطات وطنية أو سياسية طاغية.. فالعبد هو من لا يقوى على أن يفكر حتى في أن يكون أي شيء غير عبدٍ.. وإن تمرد كان لتحسين شروط عبوديته!

أما عن أخلاق السادة، فهي الأخلاق الجديدة المستحدثة على العصر.. فالسيد هو المصدر الأساسي للأخلاق، هو المبدع والمحرِّك الأساسي لمنظومة التعايش بين أفراد هذا الزمن فيمثل القوة المتمثلة في السلوك الواضح.. فالسيد لا يلجأ لمثل تلك الألاعيب والانحرافات الأخلاقية للوصول لما يريد، بل ما يريد سيحدث بقوته ومهابة الآخرين له.. وهذا ما يثير ضيق العبيد؛ أن في كل زمان وعصر تصبح أخلاق السيد هي محور الأصل، وأخلاق العبيد لا يمكن أن تتوافق في مناخٍ كهذا، فتحارب الحرية باسم التقليد.. تحارب الشجاعة

https://jadidpdf.com

باسم الطاعة.. تحارب الثورة باسم الأمان.. فحتى النظرة للمادة نفسها تميّز العبد من السيد، فيقول "جاك روسو":

"أعشق الحرية، وأمقت الكبت والعناء، وأن أكون عالة على الغير، وطالما بقي المال في كيسي فإنه يطمئنني إلى استقلالي ويعفيني مؤونة البحث عن أعمال لأملأ الكيس من جديد، فالمال الذي يملكه الشخص هو أداة حريته، أما حين نسعى إليه ملهوفين فيكون أداة العبودية"

فالّا اكتراثية إن لم تصنع من الإنسان سيدًا كامل الحرية، كانت بلا أدنى جدوى، بل بالأحرى هي عناء وحمل على هذا الشخص، فتصنع بداخله تناقضًا أخلاقيًّا بشعًا حين يجد نفسه يدعي اللا اكتراث توقًا في حرية القرار وسلام العقل، ومن صميم قلبه ما زال مكبلًا بقلقٍ مجتمعي أو غريزة حيوانية.. فالحرية قبل أي شيء تنبع من التزام الفرد بمسئوليته الكاملة أنه كيان إنساني.. والكيان الإنساني الكامل لا يتحقق بلا حرية.

ضد الثوابت

"أشياء كثيرة يتعلمها الإنسان في وقتٍ مبكر، ويتصورها يقينًا لا يقبلُ الشك، لكن الحياة تعلمه أن ذلك اليقين مجرد وهم." عبد الرحمن

https://jadidpdf.com

منيف

"في اللحظة التي تعلن فيها بأن مجموعة من الأفكار أعلى من النقد، السخرية، أو حتى الاحتقار.. تصبح حرية الفكر مستحيلة".. الروائي البريطاني "سلمان رشدي"

قديًما في روسيا، كان المجرمون يرسمون على أجسادهم أوشامًا للقادة الروس كـ "لينين" و"ستالين"، وكان السبب ليس لحبهم أو اعتزازهم بهم، بل لحمايتهم من ضرب ضباط السجون! فعندما كان يرى أي ضابط وشمَ قائده الذي يبجِّله ويخشاه على جسد المجرم، كان يتراجع عن فكرة ضرب المسجون، لدرجة أن في بعض الأوقات كان الوشم بمثابة إنقاذ للمجرم من الإعدام رميًا بالرصاص، من عدم مقدرة الضباط للتصويب على أشكال قادتهم، فمجرد فكرة التصويب تجاه وشم للقائد العظيم "لنين" تعتبر بالنسبة لبعضهم مرعبة.

هناك عادة صبيانية يتبعها بعض الأطفال في المدارس؛ حيث يقومون بافتعال شجار مع زملائهم ثم الجري بالاحتماء بحقائبهم المدرسية وتهديدهم للشخص الآخر في الشجار أنه يجب ألا يقترب منهم لأن الحقيبة بها كتاب دين!! فإن قرر الاستمرار في الشجار والتعدي على تلك الحقيبة فيصبح بذلك منحلًا، كافرًا، يتعدى حدوده مع الله! وبالرغم من أنها مثال لفكرة صبيانية شديدة الخبث إلا أنها تعكس منهجًا حياتيًّا يظهر مدى هشاشة الفكر الإنساني.

https://jadidpdf.com

الثوابت.. وهي مجموعة من الأفكار والمبادئ التي يضعها الإنسان في عقله كمُسلَّمات يصعب التلاعب بها ، كقواعد راسخة فوق مستوى النقد أو الشك، الثوابت ليس شرطًا أن تكون دينية، فهناك ثوابت اجتماعية مثل النظرة غير الأخلاقية للفتاة التي تعود البيت متأخرًا، أو ثوابت وطنية كمثال استحالة نقد أو الاعتراض علي الحاكم أو النظام السياسي المعيَّن.. ولكن لمَ يوجد ثوابت في العموم؟

البداية تحدث مع بداية إدراك الإنسان منذ الصغر؛ حيث يجد أن التفكير المستمر في بعض القضايا ربما سيشغل باله وسيدفع به للّا نهاية.. فيلجأ لتشييد بعض الثوابت لتكون ركائز أساسية في تحديد قراراته واختياراته، فعلى سبيل المثال يمكن أن يعتقد أن قتل أي إنسان يعتبر جريمة فتلك من أهم الثوابت التي لا جدال فيها.. فمهما كان حنقه على ذلك الشخص، ليس مصرحًا له التخلص منه من خلال القتل! وهكذا.. ولكن ما موقف اللا مكترث من الثوابت؟

يعتقد البعض أن اللا اكتراثية تهد أي ثوابت، أو أن الشخص اللا مكترث هو إنسان مناهض للثوابت.. والحقيقة أنه لا يوجد إنسان يحترَم عقله أو يقدِّر قواه العقلانية لا يؤمن بالثوابت، ولكن السؤال حينها يكون: ما هو محور هذه الثوابت؟.. فمشكلة الثوابت ليست في أنها قيمة أعلى عند الشخص، ولكن عندما تكتسب قيمتها على الخوف والإرهاب، عندما تفقد بوصلتها الأساسية التي يكون مركزها هو

https://jadidpdf.com

الإنسان.. فالّا اكتراثية في حد ذاتها هي ثابت أساسي لكل لا مكترث، فمبادئ احترامه حدود الآخر وكبت أي نزوات شخصية أو رغبات في التعدي على خصوصيات الآخرين هي أصل اللا اكتراثية.. قيمة الثابت هنا نابعة من تسلسل منطقي بدأ بقيمة كـ (الحرية الشخصية) وانتهى بسلوك وهو (احترام الآخر).. ولكن إذا انصرفنا للثوابت الصلبة التي تكتسب قيمتها كثوابت لمجرد أن الأعراف أو التقاليد الاجتماعية منحتها هذا اللقب! فهي محض سلوكيات رجعية بالنسبة لأي عاقل ليس بالضرورة لا مكترث..

فقضية كقضية تبجيل شخص ما أو تقديس فكر معين لمجرد أن جماعة أو شريحة معينة تفعل، ذلك لا يؤثر مع الإنسان اللا مكترث بأي شيء.. فهو أسمى من أن يحدد عقله أو سلوكه في قالب وحيد جامد!.. نقطة أخرى، وهي أن الإنسان هو ما يصنع ثوابته وليست الثوابت هي ما تصنع الإنسان، فمعضلة بعض المتعصبين هي أنهم من شدة ركودهم العقلي والمنطقي أصبحوا مدمني ثوابت! فحياتهم تكاد لا تتحرك إلا بالرجوع لثابت ما من صنع القدماء أو المتسلطين فكريًّا عليهم.. فكما قال الفيلسوف "فولتير":

"وإذا أردتَ أن تعرف من الذي يتحكم بحياتك، فحاول اكتشاف الجهة التي لا تسمح لنفسك بانتقادها"

فتنحبس بداخل سجون نسجتها لنفسك، مربوط بقيود وهمية تحت

https://jadidpdf.com

مسمى دين أو وطن أو عُرف.. فليست القوة ألا تعيش بلا ثوابت، ولكن قمة الضعف هو تنازُل عن المنطق والعقل والتفكير واستبدالهم ببعض الثوابت المتحجرة تجذبك للقاع وتصعب من مهمة تحليقك في فضاء الإبداع والحرية.. فكما عبَّر عنها "نيكوس كازانتزاكيس" في رواية "زوربا" على لسان البطل:

"- زوربا أنا حر!

- كلا لستَ حُرًا.. كل ما في الأمر أن الحبل المربوط في عنقك أطول قليلًا من حبال الآخرين.

الفخ الثوري

"إن أول خطوة في طريق بناء الذات، هي أن نقوم دائمًا بتقوية هذا الهاجس أو الخوف الداخلي في ذواتنا، من أن نسقط فريسة الاغتراب عن الذات، وأعظم مصائب الاغتراب عن الذات عند مفكرٍ ما هي التقليد، والتقليد يعني أن يسجن المرء نفسه في أُطُر حددت في غيبة منه، أي فرضت عليك قبل أن يوجد.. وأولئك الذين وضعوا هذه التقاليد كانوا مبتكرين، لكنك تقبلها وأنت غريب عن ذاتك. وحينما يسيطر عليك إحساس كاذب أنك قد تخلصت من السُنَن القديمة الموروثة من الممكن ألا تكون قد اكتسبت هذا الخلاص بنفسك، بل يمكن أن تكون جاذبية التقليد لبعض الصيغ المسيطرة على العصر، أو القوى ذات

https://jadidpdf.com

الوزن الأعظم، أو القدرات الجبارة التي ركزت سيطرتها على العصر قد نقلتك من سجن التقاليد إلى سجنها هي وأنت، تحس أن تغيير السجن هو الخلاص، في حين أنك انتقلت من نوع من الاغتراب إلى نوع آخر."

المفكر الإيراني "علي شريعتي" في كتابه "بناء الذات الثورية"

أسوأ ما يمكن أن يصيب الإنسان الثوري أن يقع في "الفخ الثوري"، وهذا ما يحاول أن يشرحه "شريعتي" عندما يتحدث عن وهم الثائر بالتغيير؛ فيعتقد أنه يعيش نهجه الحُر، ولكن في حقيقة الأمر يبقى على تقليد قديم آخر مخدوع بنسقه الخارجي، غير مدرك لركاكة الجوهر.. فمشكلة العالم أنه لا يحارب الثورية بالمقاومة قدر التشويه.. فينتقل من نظام فاشل لنظام أكثر فشلًا، زاعمًا أن في ذلك ثورة.. حتى على مستوى النضوج الفكري للشخص تتغير المسميات والألقاب، ولكن مضمون الفكر يمسى متعفنًا كجسدٍ ميّتٍ لا تجدي فيه نفعًا عطورٌ أو مزيناتٌ!.. فالثورة هي الصدمة الجذرية في باطن الفكر والمعنى.

فالطريقة الوحيدة للتعامل مع مجتمع متكالب على حقيقة الثورة هي أن يكون الفرد في حد ذاته ثورة.. أن يكون الفرد في حد ذاته نموذجًا صارخًا لما هو حُرٌّ ومبتكرٌ!، فالثورة لا تكترث لشكلٍ ثابتٍ أو مظهر متوارث، بل كل ما تركز عليه الثورة هو القيمة المقدمة منها..

https://jadidpdf.com

فربما يسقط الإنسان اللا مكترث في الفخ الثوري معصوب العينين، ولكن سريعًا سيرجع إن كان مبصرَ الضمير والعقل، فالقضية بالنسبة له ليست مجموعة تصريحات نارية يتخابث بها على نفسه، أو مواقف استعراضية يرضي بها غروره وجهله!! بل الثورة عنده يمكن أن تكون في حركة هادئة بسيطة من شدة صِدقها قادرة أن تحرك جبالًا، في قول حق مبدع من جلالة نقائه قادر أن يلهب أرواح الملايين.. الثورة عنده يمكن أن تكون في صمتٍ مسالمٍ قادرٍ أن يملأ كل أرجاء الأرض ضجيجًا!

فالعِبرة لن ولم تكن يومًا بما يحدث خارج الإنسان من أحداث انفعالية، قدر ما يحدث بداخل الإنسان من صدمات جوهرية.. فالثورة ليست تحويلًا من نظامٍ لنظام أو قالبٍ لقالب بل الثورة هي تحرُّر من أي نظام والخروج من نطاق أي قالب.. فكما عبَّر عنها المفكر "هنري ميلر" وقال:

"بالنسبة إليّ، الثوريون الحقيقيون الوحيدون هم المُلهِمون، والمحك الذي أستخدمه في الحياة: الموقف الذي يتخذه الناس من الحياة، وليس بنجاحهم في قلب حكومةٍ، أو نظام اجتماعي، أو دستور أخلاقي، أو صيغة دينية، أو نظام ثقافي، أو طغيان اقتصادي، بل بكيف أثَّروا في الحياة نفسها؟!.. ذلك ما يميز الناس الذين أفكر فيهم؛ هو أنهم لا يفرضون سُلطتهم على الإنسان، بل على العكس، إنهم يسعون إلى تدمير السلطة، هدفهم وغايتهم فتح أبواب الحياة، جعل الإنسان جائعًا إلى الحياة، ليبتهج بالحياة ولإرجاع القضايا كلها إلى الحياة، إنهم يحضون الإنسان على إدراك أنه يحمل الحرية كلها داخله، وأنه ينبغي ألا يقلق بشأن مصير العالم الذي ليس مشكلته، بل عليه أن يحل مشكلته الفردية الخاصة وهي التحرر ولا شيء آخر."

https://jadidpdf.com

ليس متشائمًا

عندمَا سُئِل جوزيه ساراماغو عن رؤيتِه المُتشائمة أجاب:
"- تعرفين، يقولون لي دائمًا: "يا لك مِن إنسانٍ متشائم يا (جوزيه ساراماغو)، فأجيبهم: لا، بل هو عالمنا المشؤوم. في أي حال أرى التشاؤم هو فرصة خلاصنا الوحيدة، وأنّ التفاؤل شكلٌ من أشكال الغباء. أن يتفاءل المرءُ في أوقاتٍ كهذه ينمّ إما عن انعدام أي إحساسٍ أو عن بلاهةٍ فظيعة.
- ولكن ألا تعتقد أن هذه السلبية تحرّض على مزيدٍ من السلبية؟
- لست أقول إنّ كل شيء سلبي وقاتم، لكن أعني أن الأمور السلبية في العالم هي أكثر مِن أن نتجاهلها أو أن نغض الطرف عنها. يبدو لي خطأ جسيمًا أن نحتمل وجود الأمور السلبية بسبب بعض الإيجابيات المُقابلة لها. هذه لا تشفع بتلك.
- إلا أنّ بعض التفاؤل نابعٌ مِن الشجاعة. ألا يعني التشاؤم نوعًا من الخضوع والاستسلام وعدم الرغبة في الكفاح؟
- بلى، أحيانًا. ولكن لنكُن منطقيين بعض الشيء؛ المُتفائل يظن أن العالم في حالٍ جيدة، أو أنه في حال سيئة لكنه سوف يتحسّن لا محالة. أما المتشائم، فيرى مِن جِهته أنّ العالم في حالٍ يرثى لها، لكن ذلك لا يعني إنكاره الإيجابيات الموجودة في هذا العالم. ربما ثمّة كما تقولين نوعٌ من التشاؤم يحث على اليأس وعلى الجمود، ولكن ليس كل متشائم مرشحًا لكي يُطلق النار على نفسه. ثمة تشاؤمٌ من نوعٍ آخر، وهو تشاؤمِي أنا. تشاؤمٌ قائمٌ على هذه الفكرة؛ لأن الواقع بهذا السوء، سأحاول ضمن قدراتي تغييره. وإذا لم أكن قادرًا على تغييره، أقلُّه أشير بإصبعي وأقول: "انظروا، هذا سيّء"، مِثلما أفعل الآن مع الديموقراطية مثلًا. فإنه لتَعمِيمٌ أن نقول إنّ كل متشائم شخصٌ يائِس."

الصحفية الشاعرة اللبنانية "جمانة حداد" في حِوار مع الروائِي البرتُغالي العالمي جوزيه ساراماغو، وقد تمّ نشر الحوار في كتابها (صُحبة لصوص النّار)

لربما يميل اللا مكترث للهدوء ويتجنب الاحتكاك غير الهادف مع الآخرين، ينزوي في كهوفه الخاصة ولا يخرج منها مهلِّلًا لأي حدث عابر..

https://jadidpdf.com

فيجعل ذلك منه كائنًا متشائمًا في عيون العامة! والحقيقة أن التشاؤم سمة لا تتعارض مع الاكتراث، ولكنها ليست حتمية الوجود في كل لا مكترث.. فاللا مكترث يؤمن بعقيدة أن لا شيئً يستحق الاهتمام فحتى التشاؤم لا يستحق الاهتمام! فتشاؤمه لن يجدي نفعًا أو يدفع ضررًا.. فكما صورها مخرج الروائع "ستيفن سبيلبرغ " على لسان إحدى شخصيات فيلمه Bridge of Spies عندما سُئل وهو مُقبل على الحكم بالإعدام عن مدى قلقه، فردَّ بكل سَكِينة would it help أي هل سيساعد القلق؟!

"لست متشائمًا. أنا ثائر على كل شيء، والمتشائم لا يكون ثائرًا بل يكون منهزمًا. وأنا القائل: يرق لي تمرّدي فأشتهي تمرّدًا حتى على التمرد".. أدونيس

فما يصنع المتشائم هو خوفه من ردود فعل العالم، ورعبه من الخطوات اللاحقة، ولكن اللا مكترث قد تجاوز هذا الخوف وهزم بداخله هذا القلق.. فتخطى حاجز التمسك بنظرة تفاؤلية أو الاعتناق لحِسّ تشاؤمي، بل أصبح هدفه السمو فوق انفعالات مؤقتة والتزام بمبادئ جوهرية تجاه العالم ككل، فنظرته لا يشوبها لون ثابت من المشاعر، بل لا يسمح أن يشوبها أي لونٍ من الأساس!.. فما يجمع بين ساراماغو وأدونيس وأغلب اللا مكترثين بالرغم من إدراكهم المتباين لقضية التشاؤم هو ما بعد هذا الإدراك.. فاللا مكترث تدفعه التزمات ثابتة تجاه قضايا وجودية مُعينة يؤمن بها ويحرص على وجودها بقوة في أرض الواقع.. فمهما اختلف الأسلوب أو الطريقة المستخدمة فالثورة الكامنة تكاد تكون ملموسة بين سلوكيات حياته، وفي أروقة أفكاره وفلسفته.

https://jadidpdf.com

"اللحية لا تصنع الفيلسوف"

ابن رشد

اللا مكترث دينيًّا

"الظروف"، "النصيب"، "الحظ" جميعها ألفاظ نستخدمها لنبرر عجزنا وفشلنا عندما تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن، فتكون حجتنا الأبدية أمام أنفسنا قبل العالم للدافع عن قصور إمكانياتنا وتفشي نواقصنا، منفذنا الأمثل للهروب من الاعتراف بضعف إدرادتنا وهشاشة طموحنا.. ملاذنا الأنيق للتملص من خيباتنا المتتالية وانهزامتنا المشينة! ولكن هل حقًّا الإنسان هو المسئول الأوحد عن خطة حياته؟! هل حقا الحياة عادلة في حسابنا أم هناك عدل من نوع آخر مفروض بوجود عنصر آخر في المعادلة؟! ولماذا تم إجبار الإنسان على التواجد في تلك المعادلة الغريبة من الأساس؟!

نعم هي علاقة شديدة الحساسية وخصوصًا أنها في بعض الحالات تفقد دعائمها العلمية والمنطقية، ولكن ماذا وإن كانت علاقة الإنسان مع الله.. تخص إنسانًا لا يكترث؟!.. هل سيضرب بالمنطق والعقل

https://jadidpdf.com

عرض الحائط أم لا يكترث بالطقوس والمفاهيم الدينية؟!.. وماذا إن كان اللا اكتراث في أساسه سلوكًا دينيًّا أو عقيدة؟! بل ماذا وإن كان يجب علينا جميعًا ألا نكترث لمثل تلك القضية ونوفر عقولنا وطاقتنا لقضايا أشد أهمية وفائدة كاقتصاد الدول أو تطوير العلوم؟!

حسب الموسوعة المسيحية العالمية طبعة 2001م، فإن عدد الديانات في العالم عبر التاريخ بلغ حوالي 10000 دين ، منها 150 ديانة بلغ عدد المؤمنين بكل منها مليون فرد أو أكثر!!، فصدِّق أو لا تصدِّق هناك ديانة تدعي الـ Googlism ! وإن كانت محض مزحة، ولكن هناك مجموعة من البشر وجدوا أن موقع جوجل الإلكتروني أقرب ليكون بمثابة ديانة لهم! فعلى الأقل هو يجيب سريعًا على كل ما يطلبونه!.. ولكن وسط كل ذلك الزحام أين قد تجد اللا مكترث؟! والحقيقة أنه ليس هناك دين واحد يجمع كل اللا مكترثين أو حتى عقيدة روحية تستطيع أن تضم جميع أفكارهم.. ولكن هناك مبادئ أساسية خرجت من باطن اللا اكتراثية، تلك المبادئ لا تحتاج لدين أو طقوس.. بل تحتاج لضمير حي ومنطق يقظ، فالقضية ليست ماذا تعبد أو لمن تصلي.. بل ماذا بعد عباداتك وصلاتك؟ ما انعاكس تلك المعتقدات والأفكار عليك كإنسان؟!.. فكن كما تريد لنفسك وإن كان عقلك قرر لك أن يكون إلهك هو جوجل!.. ففي النهاية هذا تعاملك الشخصي بينك وبين هذا الإله.. ما يعني البشرية هو تعاملك بينك وبينهم.

https://jadidpdf.com

اللا اكتراث كعقيدة

"الدين ليس هو اللاهوت. الدين هو الإحساس الباطني بالله الموجود في أعماق القلب، وهذا هو صميم الدين. وقد يكون الإنسان على علمٍ باللاهوت دون أن تكون لديه أي معرفة عن الله." "والتر ستيس" - الزمان والأزل- مقال في فلسفة الدين.

اللا مكترث ينظر للدين نظرة روحية أكثر منها طقسية أو مجتمعية.. فالدين هو بمثابة احتياج داخلي للإنسان لإقامة تواصل حي مع كيان أكبر ربما يدعى الله أو طبيعة أو أي مسمى آخر.. فإن لم يتولد بداخل اللا مكترث هذا الاحتياج كانت النتيجة هي عدم اكتراثه لفكرة الدين هي الأخرى.. ومن هنا ولدت اللا اكتراثية كمذهب ديني.

الـ Apatheism (اللا اكتراثية) والتي يلجأ لها بعض المفكرين والفلاسفة لتوضيح موقفهم تجاه فكرة الله والأديان.. فهو ليس ملحدًا atheist ينكر وجود الله أو agnostic لا أدري، ما زال لم يحدد موقفة تجاه الله ولكنه من الأساس غير مهتم لقضية وجود الله من عدمه! فهي أشبه بطريقة سحرية للهروب من جدال قد يراه اللا مكترثون لا نهاية له ولا فائدة منه.. فـ "اللا اكتراثية" ليس بالفرض عقيدة كل لا مكترث ولكن لن تجد اللا اكتراثية خارج إطار اللا مكترثين.

https://jadidpdf.com

والحقيقة أنك إذا تأملت في موقف اللا اكتراثية ستجدها أقرب فكر ديني متناسب مع جوهر اللا مكترث.. فالتكوين السيكولوجي والعقلي للّا مكترث يحتِّم عليه التعامل مع القضايا الإيمانية أو الأفكار التي تستلزم درجات عالية من التصديق غير المبرهن بدلائل علمية بقدر أكبر من الاستسلام أو عدم الخوض فيها.. فهو ليس بلا دين ولكن دينه منكب في ناحية أخرى.. فـ "الله" اللا مكترث هو صورة منعكسة لما يعتقد، فهو أيضًا لا يكترث لسلوكيات مظهرية يمارسها متعبدوه أو ألفاظ رنانة يرددها المؤمنون به.. ولكن "الله" اللا مكترث أسمى من أن يتفحص سطحيات الأمور بحجة أنه قويٌّ وقادرٌ.. أو أنه المسيطر المهيمن على كل كائنات الأرض! ولكن قضية حرية الإنسان والسلام العالمي ربما هي ما تشغله فيتعبد من يتعبد ويرفض من يرفض، فالهدف في النهاية كونٌ متحابٌ منتجٌ يعيش أعضاؤه في رحمة وعدل، ولهذا ربما احترام خصوصية أفراده هي الدافع الأهم في تحقيق تلك المعادلة.

"أنا بين المؤمنين ملحدٌ، وبين الملحدين مؤمن، وأنا بارٌّ عند الفجار، وفاجرٌ عند الأبرار، فإني في كل بيئة أجنبي وفي كل أرض غريب.".
"زكي مبارك"

فاللّا اكتراثية في شكلها الخارجي تبدو كفكرٍ خانعٍ جبانٍ قرر الهروب

https://jadidpdf.com

بعيدًا من حسم قضية هامة كقضية وجود الله من عدمه! ولكن في جوهرها فهي ربما فلسفة مختلفة من نوع آخر تدعو للاهتمام بالمضمون الروحي للإنسان، بعيدًا عن أي مظاهر سطحية للأديان الأخرى؛ فهي ليست الصواب ولا الخطأ، إنما هي فكر نسبي يتوافق حسب كل إنسان.. حتى في تعاملك مع الآخر ربما النظرة اللا اكتراثية هي الأمثل في اعتماد المساواة والتقدير للجميع، فالإنسان السوي حقًا ليس بحاجة لمعرفة معتقدك أو منظورك الديني ليقرر بعدها قيمتك فيختار إما أن يحترمك أم يستحقرك؟!.. بل لا يكترث لمثل تلك الخصوصيات فيكفيه كونك إنسانًا.

أزمة الإيمان

"إن اللا منتمي يفضِّل ألّا يؤمن، ولا يريد أن يشعر بتلك التفاهة تتحكم بالكون، وأن طبيعته الإنسانية تريد أن تجد شيئًا يتفق معه كل الموافقة إلا أن أمانته تمنعه من قبول حلٍّ لا يبحثه عقليًّا."

من كتاب "اللا منتمي" لـ "كولن ولسن"

من أهم المغالطات المنطقية مغالطة تدعى (مغالطة الاحتكام

https://jadidpdf.com

للكثرة) والتي تظهر في الاقتناع المبني على كثرة عدد المؤمنين بهذه القناعة.. فمثلًا: ملايين الأشخاص يصدقون في وجود كائن خرافي يمكنه أن يخرج نارًا من يده.. فتظهر قناعة بصدقِ وجود هذا الكائن بالرغم من أنه ينافي المنطق والعقل، ولا يوجد دليل مادي واحد يؤكد وجوده! فيبقى الإيمان الوحيد بوجود هذا الكائن مبنيًا على أقاويل وأحاديث الآخرين.. وهذا ما يراه أي عاقل أنه سلوك لا يتصف بالنضج.. فمعضلة الإيمان أنه إن كان مبنيًّا على دليلٍ ماديٍّ مرئيٍّ فأين يكون الإيمان وقتها؟ بل الإيمان هو التصديق في الذي لا يمكن التصديق فيه على مستوى العقل أو المنطق.. فالايمان في حد ذاته سلوك غير عقلاني.

كثيرًا ما يُذكَر لفظ الإيمان ويتم ترجمته في عقول الناس على أساس الإيمان الديني أو الإيمان بالله.. ولكن الإيمان هو سلوك إنساني غير مقتصر على الدين فقط بل هو كما قال "جيلبيرت سينويه":

"وماذا يعلِّمنا الإيمان غير الأمل، حين يحاول العالم كله أن يقودنا إلى اليأس؟!"

فنجد الإيمان في الطفل الواثق أن والده سيجلب له الأفضل مهما غاب أو مرَّ بظروفٍ قاسية.. في الحبيب عندما يؤمن أن حبيبته ستظل معه مهما عانى أو تأثر بمشاكل الحياة.. في الإنسان نفسه عندما يؤمن بحلم أو غاية ويشعر من أعماق نفسه أنه قادر على تحقيقه.. ربما لا

https://jadidpdf.com

يمتلك ذلك الطفل الضمان الكافي، ربما ستخذل الحبيبة حبيبها، ربما سيمر هذا الإنسان بكوارث وجودية ولطمات في الحياة كفيلة أن تجتث أصل الإيمان من ثنايا نفسه!

فهناك شريحة - لا بأس بها - من داعمي العالم المادي ينادون بواقعية الحلم والموقف، وسَلْب أي صفة إيمانية تضفي له طابع التفاؤل أو الأمل.. حتى لا يغرق الإنسان في مستنقع الوهم ويفيق على صدمات لم تكن في الحسبان.. ولكن هل تؤثر الصدمات في كائنٍ لا مكترث وهو مصنوع من قلب الصدمات؟!

الإيمان في حياة اللا مكترث لا يسطع في قلبه بإيقاع واحد، بل هو اللا مكترث نفسه من قتل الإيمان في قلبه قبل ذلك عندما فقدَ إيمانه في العالم، وقرر عدم الاكتراث به، ولكن مع كل خطوة كان يخطوها نحو محو إيمانه بالعالم، كان يزيد تعرفه على قوة إيمانه بنفسه.. فيتحول من إيمان بأفراد لإيمان بالفكرة!.. فبداخل كل لا مكترث طاقة إيمانية قادرة على مقاومة العالم بشراسة، ومواجهة الموت بصدرٍ رحبٍ.. فهنا الإيمان ليس نابعًا عن كلام قد سمعه أو عادة تربى عليها.. بل نابعًا عن تجربة شخصية عاشها بنفسه وأدرك حقيقة حجمها في قلبه وفكره.. حتى وإن لم يكن يؤمن بالله كسُلطة دينية أعلى لكن يؤمن بجوهر قيم كعدلٍ وخيرٍ ورحمةٍ كضرورة إنسانية لا جدال فيها.. فبالرغم من تشككه المستمر ورفضه للوصول لليقين التام في أي

https://jadidpdf.com

موضوع، إلا أنه يشعر ويتفاعل بصورة إيمانية، فالإيمان في حياة اللا مكترث هو طاقته للحياة.. فيموت اللا مكترث فور انتهاء الإيمان بقلبه.. لتكون النهاية كما جاءت في خطاب المطربة العالمية "داليدا" قبل انتحارها: "سامحوني.. الحياة لم تعد تُحتمل."

الصحة الروحية

"- ماذا عن دور الدين في اللص والكلاب؟ هل الإيمان بالله طريق السعادة الحقة كما يقول الشيخ؟ هل الصوفية هي الجواب الذي يبحث عنه المجرم؟

محفوظ: الشيخ يرفض الحياة التي نعرفها. في المقابل يحاول المجرم أن يحل مشكلاته المباشرة. إنهما في عالمين مختلفين. أنا أحب الصوفية مثلما أحب الشعر الجميل، ولكنها ليست الإجابة. الصوفية مثل السراب في الصحراء، يناديك تعالَ، فاجلس، واسترِح قليلًا. إنني أرفض أي طريق يرفض الحياة، ولكنني لا أملك إلا أن أحب الصوفية لجمالها الشديد.. إنها لحظة راحة في خضم معركة.

المحاورة: لي أصدقاء مصريون كثيرون يستشيرون شيوخ الصوفية باحثين عن حلول.

محفوظ: ربنا يوفقهم. الحل الحقيقي لمشكلاتهم في البنك

https://jadidpdf.com

الوطني."

من حوار نجيب محفوظ مع مجلة دي باريس رفيو في عام 1992

في إحدى الرسائل كتبَ الشاعر الفرنسي "شارل بودلير" إلى والدته: "صحتي الروحية رديئة، بل ضائعة"

"إنهم لا يقتلون لأن بطونهم جائعة، بل لأن أرواحهم هي الجائعة."

هيورم كاسا

هل فكرت يومًا ما هي الروح؟! كل الأديان تناقش وجود شيءٍ ما يدعى الروح بداخل كل إنسان، هذا الشيء ينمو أو يزدهر باتباع الشخص لتعاليم هذا الدين.. ولكن ماذا لو كان الشخص بلا دين؟ هل يكون بلا روح؟! وأين يخزِّن الإنسان تلك الروح؟!

سنة 1907 صرح الطبيب Duncan MacDougall بأنه استطاع التوصُّل لحجم الروح وهو حسب زعمه 21 جرام! حيث أجرى تجاربه على عدد من الأموات؛ فوجد أن أغلبهم يفقد هذا الوزن لحظة الموت أو كما فسرها لحظة خروج الروح من جسد الإنسان فيفقد حوالي "21 جرام" المنسوبين للروح!

على مدار التاريخ حاول الكثير من العلماء والأطباء إثبات الوجود المادي لما يسمى بالروح، ولكن كانت تقابل تلك المحاولات بالفشل أو السخرية من قِبَل المجتمع العلمي المنطقي.. حتى بات المجتمع المادي ينظر لقضية إثبات وجود الروح كقضية محكوم عليها بالإخفاق الحتمي.. فلا يوجد ما يدعى روحًا في العلم الحديث.. ولكن هناك الكثير من الظواهر النفسية والمعنوية لم يستطع العلم تفسيرها حتى الآن وهذا ليس بمبرر إلى اللجوء لتفسير غير علمي حتى نغلق باب البحث أو التفكير فيها، بل هذا يجعل الإنسان دائمًا في حالة تساؤل وتفكير..

https://jadidpdf.com

حالة عدم المقدرة للوصول لليقين الشافي.

فمن الصعب حسم قضية ماهية الروح أو طبيعتها.. وخصوصًا بالنسبة لإنسان لا يكترث ولا يميل لإقحام نفسه في أنفاق شائكة لا يبدو لها أي طريقٍ للسطح، ولكنه بالرغم من ذلك لا يكترث كثيرًا للسطح!.. فنظرة اللا مكترث لقضايا الروح نظرة أبعد ما تكون عن المنطق أو العقل كما يحاول بعض العامة تفنيدها أو فك تشابك جذورها.. بل هي رحلة فلسفية يقرر خوضها في سبيل الهروب من عالم المادة وحيّز السببية البحتة.. فالصحة الروحية التي تكلم عنها "بودلير" هي صحة جوهره كإنسان، بعيدًا عن مواطن في المجتمع أو فرد عامل في الحياة.. بل هي صحة مبادئه وحرية إبداعه، هي حالة صفاء وتجانس مع الضمير الملهِم بداخل كل إنسان..

فمن أشهر اللا مكترثين على مدار التاريخ هو الشاعر البرتغالي "أنطونيو فرناندو بيسوا" صاحب كتاب (اللاطمأنينة) والذي لا يُعرَف عنه نزعته الدينية بل كان كأغلب مفكرين عصره عنده المنطق والعقل في مقدمات عناصر التفكير، ومع ذلك تبدو لمسته الروحية في كتاباته بقوة وعنف.. فـ "بيسوا" يقول لنا في أعماله: "لا تربطوا بين طقوس دين الإنسان بحرارة روحه ولهيب قلبه.. فيعبّر عما بداخله بكل ما تحمله الكلمات من ضعف إنساني وصدقٍ روحيّ:

"أين يوجد الله؟ ولو لم يكن موجودًا؟!.. أريد أن أصلي وأبكي وأتوب عن جرائم لم أقترفها، أن أستمتع بكوني معفوًا عني بمناعةٍ ليست أمومية تمامًا. أريد حضنًا لأجل البكاء، لكن حضنًا هائلًا، لا شكلًا له، شاسعًا مثل ليلة صيف، وقريبًا مع ذلك، دافئًا، أنثويًا، بالقرب من أيما نار.. أن أستطيع أن أبكي هناك أشياء لا يمكن التفكير بها، بكاء خطايا لا أعرف ما هي، حنانات أشياء لا وجود لها، وشكوك كبيرة مُستثارة بفعل مُستقبلٍ لا أدري ما هو."

الذنب

https://jadidpdf.com

"ثبِّت العقل بإحكامه إلى مقعده، واعرض أمام محكمته كل حقيقة وكل رأي. استجوب به بجرأة كل شيء حتى وجود الله؛ لأنه إن كان موجودًا فهو جدير بالإجلال العقلي أكثر من الخوف الأعمى. لا تدع أي خوفٍ من عواقب هذا التحقق يثنيك! وإن انتهيت إلى اعتقاد أنه غير موجود، فستجد دوافعَ للفضيلة في المسرة والسلوى وفي محبة الآخرين التي سيحدثها لك التزامها"

كلمات "توماس جيفرسون" الرئيس الثالث للولايات المتحدة - نقلًا عن كتاب (تاريخ الشك) لـ "جينيفر مايكل هيكت"

هل الحضن العاطفي يمكن ان يكون ذنب ديني ؟؟ هل سب الزوجة يحتاج لنص ديني لادراك مدي فظاعته؟ هل التبرع بالاعضاء مقبول في الاديان وكيف يمكن ان يكون هناك رأي للأديان في قضية كتلك في ظل نزول كل الاديان قبل تلك القضية بمئات السنين ؟!!

ربما يمكن أن تشغل مثل تلك الأسئلة عقل الكثير من عموم الناس، ولكن صعبًا أن تشغل بال اللا مكترث، فربما عقله اجتاز مثل تلك النوعية من الأسئلة بالإجابة على سؤال أشمل وأعمق وهو: هل الأخلاق تحتاج إلى دين؟!

لماذا يوجد دين من الأساس؟ فإن كانت إجابتك لتنظيم الحياة بين الناس فكيف كانت الحضارات قبل الأديان وكيف يعيش الملحدون حاليًا في حياة منظَّمة حديثة.. صعب الاعتراف بتلك الحقيقة، ولكن الإنسان يمكنه أن ينظم حياته بلا دين، هذا ليس تقليلًا لشأن الدين، ولكن محاولة لانتشاله من موضع ينتقص منه.. فالدين هدفه الأساسي هو مساعدة الإنسان لإقامة علاقة مع خالقه -حسب رب كل دين- من خلال طقوس ومناسك دينيه وتعاليم تعمل على الوصول لذلك المقصد.. فليس هدف الدين كيف يطبخ الإنسان أو كيف يلبس أو كيف يدخل الحمَّام!.. فالدين بغايته القدسية الثابتة يجب أن يكون أرقى من سلوكيات بشرية قابلة للتطور والاختلاف.

https://jadidpdf.com

ربما يرمي رجال الدين لحتميه إقحام الدين في مثل تلك المسائل أن العقل ربما يشطح وينجرف بحجة من نزوة أو شهوة، فيجب وجود مرجع وسُلطة على هذا العقل، ولكن من قال إنه لا يوجد مرجع ورادع له؟.. فمرجع العقل هو العقل أيضًا ولا يمكن أن يكون غير العقل!، فالمنطق الإنساني وإن تغالط في بعض الأحيان ولكنه الأقرب للصورة الأمثل للصواب.. فأنت لست بحاجة إلى دين لتدرك أن الخطأ خطأ، يكفي أن تتحلى بالمنطق الراجح لتصل وحدَك للحق، فالدين إن كانت تعاليمه متناقضة مع المنطق فأي إنسان يخاطبه هذا الدين؟!.. فأنت لا تقتل لأن القتل سَلْب حياة إنسان بصورة سافرة في تعدٍّ على حقه في الحياة، لا تغتصب لأنك تتعدى على جسد إنسانة بدون وجه حق، لا تكذب لأنك تخفي حقيقة من حق الآخرين علمها، وهكذا.. نعم، يمكن مع كل ذلك أن يجد عقلك مبررات تحت ادعاء المنطق لتكذب وتقتل وتغتصب! ولكن إن وجدها بلا دين أيضًا سيجدها في ظِل وجود قوي للدين!!.. فباسم الدين ارتكبت أقصى الجرائم وكانت بحل وسماح من أكبر سلطاته.. فالخطأ كان أيضًا في المنطق..

فاللا مكترث إن كان يؤمن بأي ديانة، فمهما كانت طقوسها أو تعاليمها فهو يتقرب من ربه بالمنطق ليس بالخوف ويمارس شعائره بالعقل ليس بالجسد.. لا يسقط في قاع التساؤلات الغبية التي تهدر من وقته وطاقته، بل يترفع عنها للتواصل الحي مع جوهر الفضيلة والحكمة.. فهو يدرك تمامًا أن الدين الأقدس وُجِدَ لخدمة الإنسان الضعيف، وليس الإنسان الضعيف هو الذي وُجِدَ لخدمة الدين الأقدس.

"فتلك هي الحجة الدائمة لإرغامنا على السكوت، في مجتمع مثل مجتمعنا، العيب أداة الاستبداد، الإحساس بالذنب والخطيئة، هذا ما زرعته الأديان لكي تقيّد حركتنا، لو تسنَّى للرجال والنساء الحديث بصراحة عن علاقاتهم وعن مشاعرهم وعن أجسادهم.. لكانت البشرية أكثر ازدهارًا وإبداعًا.. وأنا على ثقة أن ذلك سيحدث يومًا ما."
المفكر اللبناني "أمين معلوف"

البحث عن الهدف

https://jadidpdf.com

"صار التبرير الوحيد لاستمراري في العيش هو أني مضطرة وليس لأني أريد. وهذا الأمر أشد بؤسًا من التشرد والضياع، فكل مشرد أو ضائع يستيقظ كل يوم من أجل شيء ما، إما للبحث عن لقمة العيش أو لإيجاد هدف.. أما أنا فأستيقظ لأفعل أشياءً لا رغبة لي فيها، ولم أختَرها منذ البداية.. فقط لأستمر في اللاشيء الذي يراه الآخرون "حياة ".).. من رواية ليتني امرأة عادية لـ "هنوف الجاسر"

"أظُن أحيانًا أن لا معنى لأي شيء، فعلى كوكب صغير يسير نحو العدم منذ ملايين السنين نُولد وسط الأيام ونترعرع، ونُجاهد، ونمرض ونسبِّب الألم للآخرين، ونصخب ونموت، ويموت أناس، في حين يُولد آخرون، ليبدأ تكرار الملهاة العقيمة من جديد." إرنستو ساباتو

"قضيتَ حياتك كلها تنظر لنفسك على أنك خُلِقت لغاية وهدف، ثم يُطلب منك الآن أن تعيش كواحد من القطيع. أيفيد ذلك أي معنى؟ ألا يدعو ذلك لنظرة عبثية تجتاح كل مقدس وكل قيمة؟ لماذا يدعم الناسُ الناسَ في ألا يكونوا شيئًا: أن يعيشوا لكي يموتوا، وألا تكون آمالهم وتطلعاتهم إلا في خدمة نجاة القطيع وبقائه، بينما يندر هؤلاء الذين يعترفون أو قُل يفهمون معنى أن يكون لك وجود مميز؟ تلك هي الإنسانية أن تكون ذا وجود مميز، لا أن تكون تِرسًا في آلة ولا أن تكون رأسًا في قطيع." "محمد أبو الغيط"

https://jadidpdf.com

من أقسى لحظات الفكر الإنساني هي لحظة توقفه مع ذاته بعيدًا عن ضوضاء العالم وتساؤله عن الهدف من وجوده؟ ما معنى حياته؟ ولماذا ظهر على هذه الأرض في هذا الزمن؟ لماذا أتى في جسد وحياة هذا الإنسان، وهل كان يوجد خيار بديل؟!.. فقسوة تلك اللحظة تكمن في صعوبة الوصول لإجابة شافية مُرضية لهذا الإنسان، فدائمًا ما تكون النتيجة أنه يعيش لأن عليه أن يعيش.. فوجوده لا يشترط أي سببٍ أو هدفٍ إنما المغزى كله في أن يكون موجودًا، مجرد كائن حي يشكِّل كتلة محددة من الفراغ الكوني لا يؤثر وجوده مع أحد أو يتسبب غيابه مع أحد.. ولكن من أهم الطرق لمعالجة تلك النظرية يتضح في المفهوم الديني لوجود الإنسان والذي يدفع كل فرد لتصديق نظرية أن لكل منا هدفًا في الحياة.. ولكن كيف ينظر اللا مكترث لتلك القضية؟

ربما تكون النزعة الدينية داخل كل فرد سواء لا مكترث أو مكترث هي المحرك الأساسي لجعله يصدق في مثل تلك النظرية، ولكن صدقًا، لا يوجد لا مكترث مازال على قيد الحياة إلا وهو يعيش على عقيدة حتمية لهدف من وجوده على الحياة ولو لهدف يعتبر غريبًا أو غير مألوف بالنسبة لكثيرين، ولكن استمرار بقائه يساوي اعتناقه لهدف والذي إذا اختفى أو اختل في فكره ونفسه سارع وبكل أريحية نحو الانتحار ككثيرين من لا مكترثين عرفهم التاريخ.

فاللا مكترث ليس مربوطًا بنظرية دينية لتدخل في كيانه فكرة وجوده

https://jadidpdf.com

في الحياة.. فالعديد من الفلاسفة والمفكرين توصلوا أن مغزى الحياة يمكن أن يكون في القوة كما دعا "نيشته" أو في الخلود الفكري كما دعا "أفلاطون" أو حتى العدم كما فسر "ألبير كامو"!! فحتى انعدام المعنى هو معنى مبرر للحياة!.. وهناك من قالها بكل صراحة أن لا معنى للحياة إلا بالحب.. كالعبقري "نجيب محفوظ" في رائعته (الشحاذ).. فيستنكر "ألبير كامو" في (أسطورة سيزيف) ويقول: "فأن نستيقظ، وأن نركب القطار، وأن نقضي أربع ساعات في المكتب أو في المصنع أو في الجامعة وأن نتغدّى، ثمّ أن نركب القطار مجددًا، وأن نقضي أربع ساعات من العمل أو الدراسة، وأن نتعشّى وأن ننام، ثم يوم الاثنين فالثلاثاء فالأربعاء فالخميس فالجمعة، وأخيرًا السبت، كلها على الوتيرة ذاتها، وتستمر.. وذات يوم يطالعنا سؤال: "لماذا"؟))..
فيردّ "محفوظ" لأن الحب..

فَكَلَا مكترث قرر أن يسمو بنفسه عن تفاهات أرضية أو معارك سطحية قد تلوِّث عقله وسلامه النفسي ربما ينظر أن فكرة الهدف من الحياة يجب هي الأخرى أن تكون منزهة عن فرعيات وماديات.. فالتواصل السامي سواء في الحب أو الفن أو أي أشكال الإبداع الحسية أو الفكرية هو أعظم معاني الحياة.. ومتى فقد هذا التواصل يصبح كطفل في رحم أمه فقدَ غذاءه فأصبح وجوده قابلًا للتهديد والفناء.. فيتواصل مع جمهوره في أعماله، يتواصل مع الأصدقاء والمقربين في السلوكيات الاجتماعية الراقية، حتى مع الله أو الطبيعة

https://jadidpdf.com

أو أي كيانٍ قد وضعه كنظير أعلى يتواصل معه بشكل تلقائي قائم على الحوار الحُر والارتباط الحاني.. فيتلخص معنى الحياة للّا مكترث في أن التواصل حياة وفي الانفصال موت.

القانون الإلهي

هل فكرت يومًا أن القانون يجب أن يكون لا مكترث؟ يجب أن يكون منزهًا عن أي عاطفة وغير متعلق بأي انفعال؟!.. فإن كان القانون مثلًا أن يُسجن من يسرق وكان السارق رجلًا عجوزًا لا يقوى على السجن؟! هل يحق لنا التلاعب في موازين العدالة لتليق بمعايير هذا السارق، أم لا نكترث بحالة ووضعه ونطبِّق عليه القانون كما يجب؟؟ فهذا إن كان القاضي بشريًّا، ماذا إن كان القاضي إله الرحمة والتسامح؟!!

فمن صفات الإله المتفَّق عليها بين الأديان، العدل، وإلا كيف يُدعَى إلهًا ظالما ويستحق التبجيل أو الإجلال؟ ومن قلب مضمون العدل يتولد لنا مفهوم الخير والشر.. فيصبح الحكم العادل بخصوص الخير هو

https://jadidpdf.com

المكافأة والسعادة، والحكم العادل بخصوص الشر هو العقاب والبؤس.. ولكن ماذا إن كان الخير والشر نقيضين حتميين للوجود في آنٍ واحدٍ؟!.. ماذا وإن حدث أن كانت الرحمة شرط عدم تطبيق العدل.. أو أن التسامح يعني التغاضي عن تطبيق القانون؟!

كثيرًا ما يتم اتهام الإنسان اللا مكترث بأنه بلا قلب، منزوع الرحمة في تعامله مع المواقف الحياتية المختلفة، وأن تطبيقه لقانونه الشخصي يكون فوق أي ادعاءات انفعالية مؤقتة تخيم على الموقف أو تحاول التغيير من حقيقته! فيتم الاستنكار منه بأنه يحاول أن ينصب نفسه إلهًا بين الناس!.. والحقيقة أن مثل ذلك السلوك اللا اكتراثي ليس نابعًا من تصور الإنسان بمثابة الإله الأعظم، قدر ما هو نابع من اعتقاد الإنسان بتنزيه صورة هذا الإله الأعظم من سخافات بشرية مراهقة.. فأنت عندما لا تكترث لدموع مجرم، لا تقوم بذلك لأنك فرضت أنه لا يستحق شفقة أو شككت في مشاعره.. بل أنت مدرك مدى ألمه، ولكن هذا توابع القانون الذي ننصاع له جميعًا.. فكان هذا القانون خيرًا على المجني عليه، ولكن شرًا على الجاني.. فعدل القانون ينبثق من جوهر لا اكتراثيته.

"أنا الخير والشر معًا لأني إنسان" "إحسان عبد القدوس"

من المؤسف، أن هناك شريحة واسعة من الناس تربط الكوارث

https://jadidpdf.com

الطبيعة والأزمات الاقتصادية بغضب الإله أو أن الضربات السمائية نتيجة شحنات دعائية منصبة على شريحة أخرى من الناس!.. ولكن وسطهم يقبع اللا مكترث في صومعته يراقب معتركهم الصبياني الهزلي ويضحك على صيحتهم الحمقاء بالنصرة والاحتفاء.. فالقانون في العموم والقانون الإلهي بالأخص يجب ألا يكون مدفوعًا بشحنات عاطفية كما يجب ألا يكون محكومًا بمشاعر مؤقتة.. فإن كان كذلك فأي متخاذل يكون هذا القانون! بل إنه كلما ارتفع الإنسان بمفهوم العدل ارتقى بنعمة الإحساس الواعي.. فاللّا اكتراث ليس قتلًا أو كبتًا للمشاعر بل توظيفها بسمو ونضوج.. بل إن الإنسان يتألم بألم أخيه الإنسان، ولكن لا يمكن أن يسمح بسيطرة هذا الألم عليه ودفعه لفعل أي شيء مختلف غير العدل!!، ففي النهاية القضية ليست سعيًا وراء خير أو هروب من شر، إنما تركيبات معقدة من القيم والمبادئ تعطي للحياة والكون قوامه الذي يتيح لنا كلنا التعايش فيه.. قيم ومبادئ بدونها ستصبح الحياة كغابة غادرة وإن كانت غابة تحت إشراف القانون الإلهي!!

حق الخطأ

"الفتاة التي تُمنع من الخروج وحرية التصرف ليست بالطبع فاسقة،

https://jadidpdf.com

لكنها ليست فاضلة، إنّها اللا شيء؛ لأنها لم تختَر شيئًا، إننا لسنا مسئولين عن أي عمل نمارسه بالإكراه، أي إننا لا نستطيع أن نطلق على أنفسنا أي حُكم أخلاقي حينما لا نملك حريّتنا في اختيار ما نفعل".. غادة السمان

"الحرية غير ذات قيمة إذا لم تشمل حرية ارتكاب الأخطاء.".. غاندي

سنة 1955 صرَّح أحد شيوخ الأزهر وهو الشيخ "عبدالحميد بخيت" بأن من حق المسلم غير القادر على صيام شهر رمضان ألا يصوم.. ولكن بالطبع تم مقابلة ذلك التصريح مجتمعيًّا بهجوم وتكفير لهذا الشيخ، مما دفع وقتها المفكر المتحرر "طة حسين" لدعم موقف الشيخ وسجَّل هذا الدعم في مقالة كتبها من جزئين في جريدة الجمهورية بعنوان (حق الخطأ) فقال فيها:

"من حق الإنسان أن يخطئ! وويل لأمة يعاقب الناس فيها على الخطأ.. تلك أمة لا تعرف الحرية ولا تُقدِّرها، ولا تقيِّم أمرها على القصد والاعتدال، وإنما تقيّمه على الفتنة والغرور. وأي فتنة أشد من معاقبة الناس على أنهم رأوا رأيًا لا يعجب الرؤساء؟ وأي غرورٍ أعظم من ادعاء الوصول إلى أسرار الضمائر ودخائل القلوب؟ وأي شرٍّ أشد نكرًا من أخذ الناس بالشبهات وقد أُمِر المسلمون أن يدرؤوا الحدود بالشبهات؟"

https://jadidpdf.com

أعظم ما يمكن ان يكلل أي حرية هو حق ارتكاب الخطأ والتي يتشابك عند البعض الفرق بين حق ارتكاب الخطأ وفعل الخطأ نفسه، ومن هنا يجب أن نتساءل: ما هو الخطأ؟.. فالخطأ هو الفعل أو الفِكر أو السلوك الذي اتفق عليه مجموعة معينة من الأشخاص؛ أنه لا يُقبل أن يكون قائمًا.. ربما يكون لهم في قرارهم هذا سند ديني أو اجتماعي أو وطني، ولكن كما نرى في النهاية أن الخطأ في مضمونه قضية نسبية.. ولكن هل هذا يعني السرقة والقتل أخطاء نسبية؟!!

فلنتفق أن الثابت الوحيد في معادلة البحث عن جوهر الخطأ في أي سلوكٍ هي توابع السلوك نفسه، ففي السرقة أو القتل أو أي جريمة هناك تعدٍّ صريحٍ على الآخر وهذا معاكس لكل مبادئ الحريات.. ولكن في قضية عدم ممارسة سلوك ديني معين أو رفض القيام بتقليد اجتماعي محدد فهنا لا يوجد أي ضرر على الآخرين، ولكن الضرر الوحيد الذي يظنه البعض عليك هو ضررك أنت الشخصي سواء بعقابك إلهيًّا بدخولك جحيم أبدي أو عقابك اجتماعيًّا بدخولك في سجن النفور المجتمعي! ولكن من أعطى للآخرين حق الاكتراث بمصائرنا؟! وهل في اللا اكتراثية نوع من أنواع الأنانية والتخاذل؟

فاللا مكترث لا يعنيه ماذا تفعل في يومك أو بماذا تعتقد في أفكارك؛ فهو ينظر لكل إنسان ككيان ناضج قادر أن يتحمل مسئولية افعاله

https://jadidpdf.com

وقناعاته، ولكن المشكلة تبدأ في الظهور مع اعتبارنا للآخر ككيانٍ ناقصٍ يحتاج لتوجيه أو إرشادٍ، فنجعل من أنفسنا أوصياء على الآخرين، مما يشبع بداخلنا فضول السيطرة والتحكم! فالإجبار على فعل الفضيلة -والتي سُمِّيت فضيلة بناءً على إجماع تفسيرات البعض- ليست إلا تسخيفًا وتقليلًا لشأن مقدار الإنسان، فيتم سلبه من حقه في تقرير ما يكمن في أعماقه بفعل سلوك واحد فقط لا خيار فيه.. لكن بوجود (حق الخطأ) يصبح الإنسان سيد قراره فيقوم حقًّا بما يؤمن به..فذلك لا يقلل من قيمة الخطأ قدر رفع قيمة الصواب.. فأيهما أعظم: شخصٌ يصلي لأنه مجبر على الصلاة، أم شخص اختار الصلاة بكل حرية وود؟؟.. أيهما أكثر منطقية حتى بالنسبة للمنطلق الإلهي: أن يتقرب الفرد من الله في خوفٍ ورعبٍ، أم يتقرب له وهو راغب ومشتهٍ هذا التقرب؟!

فنظرة اللا مكترث في قضية (حق الخطأ) تجعل من العامة ضعاف العقول وصمه بأنه يريد مجتمعًا منحلًّا يسهل فيه ارتكاب الأخطاء، والحقيقة أن اللا مكترث لا يكترث أصلًا بالمجتمع أو سلوكياته، لا تشغل باله مستويات تدين البعض أو حتى مظاهر أخلاقيتهم.. فاكتفاؤه بذاته يجعله منصرفًا عن ذوات الآخرين.. فهو لديه ما في عقله ونفسه أهمّ بكثير ممن ارتدى ملابس بشكل مختلف أو تصرف تصرفات معينة.. فهو غير متفرغ لمثل سفاسف الأمور..

https://jadidpdf.com

رمزية رب اللا مكترث

"إنها القاعدة الأولى يا أخي: إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا انعكاسٌ للطريق التي نرى فيها أنفسنا.. فإذا لم يكن الله يجلب إلى عقولنا إلا الخوف والملامة، فهذا يعني أن قدرًا كبيرًا من الخوف والملامة يتدفق في نفوسنا، أما إذا رأينا الله مفعمًا بالمحبة والرحمة، فإننا نكون كذلك."‏.. إلياف شفاق – قواعد العشق الأربعون-

هل يمكن ان يكون الله مجرد انعكاس نفسي بداخلنا؟.. رد العالم نفسي وطبيب أعصاب "سيجموند فرويد" بخصوص هذا الموضوع فقال في كتابه "مستقبل الوهم":

"إن المؤمنين يطلقون أسم الله على شيء مجرد وغامض خلقوه لأنفسهم"

فكان فرويد يعتقد أن الدافع وراء صياغة مفهوم الله بين البشر هو حاجة البشر الغرائزية لوجود شخصٍ ما قوي يمكنه أن يحل لهم مشاكلهم ويأخد لهم حقوقهم في عالمٍ ظالمٍ فاسدٍ، مثل حاجة طفلٍ ضعيفٍ لوالده.. فالفكرة كلها من الأساس عبارة عن وهمٍ خلقناه

https://jadidpdf.com

لأنفسنا حتى يبث لنا الأمل ويمنحنا القدرة على الاستمرار في هذا العالم.. ومن هذه النظرية بدأ الإنسان الضعيف المشبع بالخوف يبحث عن الله جبار يتغذى على خوف الآخرين ويزرع الرعب في قلوب من يضطهدونه أو يضايقونه، والإنسان الباحث عن السلام والمحبة بدأ ينظر لله كملك الرحمة في جميع أرجاء الأرض، واهب الأمان والعطف.. ولكن ماذا يمكن أن تكون صفات رب اللا مكترث؟! والسؤال الأدق: هل من الأساس يكترث اللا مكترث بالتدقيق في صفات ربه؟!

"وسُئل الأب: أي اسم تطلقه على الله يا أبتِ؟

فأجاب: ليس لله اسم . إنه أكبر من أن تحتويه الأسماء.. الاسم سجن، والله حرّ." "نيكوس كازانتزاكيس"

الاتجاه الديني سواء مؤمن أو ملحد ليس شريطة اللا اكتراث، فاللا مكترث يعي تمامًا أن مثل تلك القضية لها طابع الخصوصية وليس من صلاحيات أي شخص إقحام نفسه بها، وأنه لا يوجد اعتناق ديني واحد منحصرة فيه قضية اللا اكتراث!.. وأما عن قضية التفكير في صفات أو ماهية الله ربما قضية وجودية تستحق الاهتمام، وخصوصًا أن لها ارتباطات بالبحث في ذات الإنسان نفسه.. وبالرغم من جوهريتها وثرائها بالحكمة والتفلسف إلا أن الأهم من الأفكار هو تطبيق تلك الأفكار أو بمعنى أعمق: ماذا تصنع منك هذه الأفكار؟

https://jadidpdf.com

(لا تكلمني عن إلهك، دعني أراه في سلوكك).. فالحقيقة أن التساؤل لا يجب أن يكون عن ثبوت وجود الله من عدمه، قدر ما يجب أن يكون تأثير وجوده من عدمه في حياة الإنسان، العبرة دائمًا بالنتيجة.. فالنتيجة للرفع من قدر الإنسان أم للحطّ منه ومن سلوكه! وهل وجود الله في حياتي يجعل مني إنسانًا أفضل أم أسوأ؟!!.. فما نفع وجود الله في حياة إنسان يعيش على الأرض ليقتل ويسرق ويؤذي الآخر، وإن كان هذا الإله يدعو للخير والصلاح والرحمة؟!.. فالله وهو رمز محوري بالنسبة لشريحة واسعة من الناس كالسلطة الأعلى في الكون، يتمثل كيانه بالنسبة لأغلب اللا مكترثين كسلوك أكثر منه مفهوم غامض أو لفظ روحاني ..علمًا أن حتى وسط هذا التشويش والتخبط عقل اللا مكترث قادرٌ على إرشاده وتوصليه للمراد منه، وإن كان الشك هو أهم وسائل الإرشاد والتوجيه تلك.. فالشك هو الخطوة الأولى في طريق الوصول الحقيقي، ولو كانت البداية بمجرد وهم نفسي!، ليقول المفكر البريطاني "كريستوفر هيتشنز":

"الشخص المتأكد دومًا من صحة ما يؤمن به، والذي يدعي أن له تفويضًا إلهيًّا يبقيه دائمًا على حق، ما زال في سن الرضاعة من عمر نوعنا البشري."

https://jadidpdf.com

"في اللحظة التي عثرت فيها على جميع الأجوبة تغيرت كل الأسئلة."

باولو كويلو

الخاتمة

ماذا بعد اللا اكتراث؟ هل مزيد من اللا اكتراث واللامبالاة؟! أم العودة لأصول الاكتراث والتشبُّث بالواقع؟؟

فربما لا توجد خاتمة.. ربما لا يمكن أن نصل للنهاية.. ربما إنها عبارة عن بدايات متنوعة لعهدٍ جديدٍ أو تدفقاتٍ مختلفة لحالة غير مألوفة.. أو ربما طريق آخر ظهرَ من العدم أو أصبح العدم فجأة هو الطريق..!

فمحاولة الوصول لنهاية هو في حد ذاته عين الاكتراث، البحث عن

https://jadidpdf.com

مخرَج من تلك الورطة يعكس مدى الاهتمام، ذلك القلق الوجودي

يعني أننا جميعًا مبالون!!.. وتلك هي الحقيقة التي لا يمكن دفنها،

وهي أن مهما بدا هذا العالم أحمق أو غير مألوف فما زال فيه ما

يستحق الاكتراث وإن كان نحن أنفسنا..

فقضية اللا اكتراث لن يتم إدراك طبيعتها بكلمات منمقة وألفاظ رنانة..

قضية اللا اكتراث لن تكون استناجاتها الحاسمة في كتبٍ ومجلدات..

قضية كتلك لم ولن يكون لها قولٌ أخيرٌ.. بل دائمًا ستكون هي البداية..

جوهر كل البدايات.

https://jadidpdf.com

لا مفر إلا بالفن

طلماذا الفن بهذا الجمال؟ لأن لا غاية من ورائه. ولماذا الحياة بهذا القبح؟ لأنها مليئة بالغايات والأغراض والأهداف." فرناندو بيسوا

"الفن يواسي من كُسِرت قلوبهم." فان كوخ

"ابقَ حيث الغناء، فالأشرار لا يغنّون." مَثَل غجري

في مقاله (لا تؤذي الموسيقى أحدًا) يقول الكتاب السعودي "فيصل العامر" :

"هل رأيت كمانًا استحال يومًا سلاحًا؟ أو سمعت بموسيقيٍّ فجَّر نفسه بعد أن غرس ديناميتًا بفمه ليتناثر بعدها أشلاءً ونوتًا..؟ أو أن جمعًا من العازفين تحلّقوا بعد البروفات ليخططوا لفعلٍ ينتهك الحياة؟ تخيَّل معي أن مارسيل خليفة مهتم بصنع قنبلة بدائية أطلق عليها اسم "طفل وطيارة"! أو أن فيروز فخخت نفسها ذات صباح ثم صرخت بأغنيتها قبل أن تتمزق: "مش فارقة معاي"! هل من المحتمل أن تجد صورة زياد الرحباني مبتسمًا ضمن المطلوبين على قوائم إرهاب البشر وقد كتبَ فوق رأسه "أنا مش كافر"؟..لا يمكن أن تفعل

https://jadidpdf.com

الموسيقى بالحياة قبحًا كهذا، فهي تنزع فتيل البُغض، تؤسس لحالة من السِّلم الإنساني، تحاول جاهدة التوسط بين صراعاتنا التي نرتكبها على الدوام.. هي الفعل النادر المتفق عليه بين البشر."

لا يمكن أن تجد لا مكترث لا يهوي الفن بشتى صوره بل يعيش في أعماق أعماقه، ليصبح متداخلًا في كل أفكاره وممتزجًا بكل ثنايا نفسه، فيمسى سلوكه اليومي في حد ذاته حدثًا فنيًّا.. فدلالة الفن في حياة اللا مكترث ليست مجرد وسيلة لتهذيب روحه أو تنقية نفسه فحسب إنما هي ملجأ احتماء، ومخبأ هروب.. فالفن في صورته الأولية عبارة عن رحلة تجسّد إبداع كيان إنساني ما قرر الرحيل عن هذا العالم، تبدأ بالمغادرة محلِّقة في سماء عالم آخر من الألوان والأنغام، عالم آخر من حركات الجسد وأداء النفس، عالم بلا قيود أو سجون، عالم بلا فساد أو غدر.. عالم لا مكترث!.. فيرى اللا مكترث نفسه كمثل رحلة ولادة العمل الفني، فهو وليد ترك هذا العالم واستوطن وطنًا آخر.

وكما أن الفن يمكن أن يكون غير مفهوم للبعض أو حتى وإن قرر مجموعة من الناس أن تفهمه، لن يتم إدراكه بشكلٍ واحدٍ أو ثابتٍ، هكذا يكون اللا مكترث غامضًا أو غير مفهومٍ بشكلٍ واضحٍ بالنسبة لمن حوله.. وكما أيضًا الفن لا يهتم بآراء الآخرين هكذا يكون اللا مكترث؛ لا يغيِّر من نفسه أو يتلاعب في جوهر حتى يعجب أو يجذب من كان.

https://jadidpdf.com

عند لحظة اختيار اللا اكتراثية كأسلوب حياة، يطهِّر الفرد روحه من شوائب العالم لتصبح جائعة لكل ما هو مفعم بالثورة والحياة، ولا يوجد خير من الفن ليقوم بمثل تلك المهمة.. فالفن وإن كان يبدو رقيقًا بسيطًا في الانطباعات الأولى، إلا أنه أشبه بمجموعة انفجارات وجودية عنيفة تنتهي بإعادة اكتشاف الفرد لذاته مرة أخرى.. فعندما سألوا "العقاد": ما فائدة الفنون مقارنة بفائدة الخبز أو المادة؟ كان رده:

"بوسعنا العيش دون مَلكة النظر سبعين عامًا دون أن نهلك، ولا نقدر أن نعيش سبعين يومًا دون الرغيف، ولم يقل أحدٌ لهذا إن الرغيفَ أهمُّ من البصر. ولكن بتقييم السوق: الرغيفُ أرخصُ من الكتاب، والتمثالُ أغلَى من الثوب. فقيمةُ الشيء لا تتعلق بقدر الحاجة إليه، بل بقدر ما نصبح عليه إذا حصَّلناه. فتحصيلُنا الرغيفَ يساوينا بسائر الأحياء، ولكنْ تحصيلُنا الجمالَ لا يجعلُنا أحياءً وحسب، بل يجعلنا بشرًا ممتازين في أمَّة ممتازة، تُحِسُّ وتُحسِن التعبيرَ عن إحساسها. الضروراتُ توكلُنا بالأدنَى من مراتب الحياة، أما الذي يرفعنا إلى الأوج من طبقات الإنسان، فهو الفنون."

فالفن اللصيق الأساسي لكل لا مكترث.. فتلك اللوحة التي يرى فيها انعكاس ظِلاله النفسية هي خير صديق، تلك المقطوعة الموسيقية التي تحضنه في أوقات حزنه هي أرق حبيبة، تلك الكلمات

https://jadidpdf.com

الشعرية التي توقظ فيه طاقات الإبداع هي أعظم مُعلِّم.. فكما قال المعماري البريطاني المستنير "ويليام ويلكوكس":

"عالمنا الحزين يحتاج إلى دينٍ واحدٍ هو الفن."

استقالة من الإنسانية

"أنا أستقيل من الإنسانية. لم أعد أريد أن أكون، ولم أعد قادرًا على أن أكون -إنسانًا. ماذا سأفعل؟ أخدم الأنظمة الاجتماعية والسياسية؟، أسود حياة امرأة؟ أتصيَّد نقاط الضعف في النظم الفلسفية، أناضل من أجل القيم الأخلاقية والجمالية؟ كل ذلك هراء. أنبذ إنسانيتي، حتى وإن كنت سأجد نفسي وحيدًا، ولكن أنا وحيد على كل حال في هذا العالم الذي لم أعد أنتظر منه أي شيء".. إميل سيوران

ما يمكن أن يدفع الإنسان للاستقالة من الإنسانية؟ فالحقيقة أن السبب واحدٌ في كل الاستقالات، سواء من عمل أو من مشروع أو حتى من الإنسانية؟! وهو أن ما يُقدِّمه الإنسان أكثر بقليل من العائد عليه.

السلوك البشري قائم على موازنة في غاية الأهمية وهي تقييم المبذول في السلوك من جهدٍ وتعبٍ والعائد منه من متعة ونفع، وعلى

https://jadidpdf.com

أساس ترجيح كفّة العائد يكون القرار بتنفيذ السلوك، فأنت تذهب لعملك الممل كل يوم لأن العائد المادي الذي تحصِّله منه يدفعك لشراء الحلوى لأطفالك ورؤية الابتسامة على وجوهم؛ لأن العائد النفسي الذي يُشعِرك القيمة جوهرية نتيجة قيامك بعمل مهم يدفعك للإحساس بتشبُّع الأنا لديك، لأن العائد الاجتماعي منه هو أن تجد نفسك في وضع اجتماعي مرموق نتيجة هذا العمل.. وهكذا تكون الإنسانية، أنت قائم بكل كيانك فيها لأن هناك أهم عائد عرفه الإنسان وهو إشباع غريزة البقاء.. ولكن فور انعدام الإحساس بذلك العائد تظهر رغبة الفرد في الاستقالة من الحياة.

غريزة البقاء ليست متمثلة فقط في التواجد الجسدي، ولكن أن تبقى هو أن يتعدى وجودك حيّز إشغال نسبة ضعيفة من الفراغ المادي! بل التواجد الحقيقي في الإنسان هو تحقيق الأثر.. لربما يعتقد البعض أن اللا مكترث لا يهتم بقضية تحقيق تغيير في الحياة أم لا، ولكن هذا هو لُب اللغط في مفهوم اللا اكتراثية، فما لا يكترث به اللا مكترث ليس أن يُحدِث فرقًا أم لا، بل لا يكترث بأن يراه الآخرون وهو يحدث هذا الفرق، فاللا مكترث مشكلته مع سطحية العالم وليس مع جوهر قيمة حياة الإنسان في العالم!

يعتقد البعض أن الاستقالة الوحيدة من العالم هو من خلال إنهاء حياة الإنسان.. سواء من خلال الموت الخارجي أو الانتحار، والحقيقة

https://jadidpdf.com

أنه بالرغم من كونها فكرة ضامنة لتحقيق الاستقالة ولكنها الاستقالة الدائمة اللا رجعة فيها! فهناك أشكال أخرى من الاستقالات أكثر مرونة وعمليّة من إنهاء الحياة، وإن كان اللا اكتراث أهم تلك الأشكال.. فهو في جوهره نوع ضمني من أنواع الانتحار.. حيث يقتل فيه الإنسان اهتمامه وفضوله عن هذا العالم.. يميت حياة المراهق مقيدًا بالمادة ويعدم رواسب الفقر البصيرة والأنانية فيه!

"أعرف شيئين في غاية البساطة، أما الباقي فلا أهمية له: الأول هو أن العالم الذي نعيش فيه تحكمه عصبة نبيلة من الأنذال التي لطخت الأرض.. الثاني أنه يجب ألا نأخذ الأمر على محمل الجد، لأن هذا هو ما يرغبون فيه.".. "ألبير قصيري" من رواية (العنف والسخرية)

فوقتها يجد أنه لا ينتظر عائد أو مقابل بل حتى لا يبذل أي جهد مهدور على صغائر الأمور، فيعيش الحياة بنوعٍ من التسامي والإدراك الفطن.. يستقيل من مجلس التفاهة، يستقيل من الضغوطات النفسية والإزعاج المجتمعي، يستقيل من عبء تحليل الموقف والسجن داخل دوامة الغد المجهول.

الوهم

https://jadidpdf.com

بينما يعلنها "هاروكي موراكامي" بكل مرارة وأسى:

(لا أستطيع احتمال ذلك، أود أن ألقي بكل شيء من النافذة، أريد أن أصرخ: "لست إلا طفلة.. أنا طفلة.."!!)

يرد عليه "أحمد خالد توفيق" وينبهه لصعوبة تحقيق ما يأمل:

"أتمنى أن أبكي وأرتجف، أتمنى أن ألتصق بواحدٍ من الكبار، لكن الحقيقة القاسية هي أنك الكبار!"

بينما يدعي "عبد الرحمن منيف" حتيمة وجود رفيق أو معين:

"إن أقوى الناس وأكثرهم قدرةً على التصرف، يفقدون في لحظاتٍ معينة قدرتهم على أن يتصرفوا منفردين. يجب أن يكون أحدٌ إلى جانبهم لكي يقول لهم ما يجب أن يفعلوا..!!"

يفاجئه "ديكنز" بإمكانية العذاب وحيدًا:

"لقد تعذبت في صمتٍ، وتعذبت بعمقٍ، ولم يكن يعرف ذلك أحد سواي!"

بينما ينصحنا "دوستويفسكي " في رواية (حلم العم) :

"ما من شيء يمكن أن ينقذك إلا أن تتغير حياتك تغيُّرًا جذريًّا.."

ولكن يصدمنا الكاتب "لاري براون" فيقول:

https://jadidpdf.com

"بعد عام من العلاج، قال لي الطبيب النفسي: ربما الحياة ليست للجميع..!!"

ماذا إن كانت المثالية وهمًا وإن الحقيقة في أعماقها لا تعرف صورة واحدة كاملة الموصفات؟ ماذا إن كان الواقع لم يعرف معنى المطلق أبدًا حتى في قيمه أو شرائعه وأن النقص البشري والضعف الإنساني قد تخلل لكل تفاصيل الوجود؟! ماذا إن كان لا أثر للعدل أو الحب، للرحمة أو الشجاعة، للحرية والخلاص؟! ماذا إن كان لا معنى للفضيلة أو هدف من الخير؟! وأن كل ما نعيشه في عالمنا هذا محض خرافة ذاتية نشأنا بها لكي نحنو على أنفسنا بأملٍ زائفٍ يدفعنا للاستمرار في الحياة؟!!

تخبطات نفسية ومعارك أخلاقية تدور كل لحظة في عقلِ كل لا مكترث يسعى لفك شفرة تلك الفوضى، فكيف أكون ما رفضت دومًا أن أكونه، وكيف أرفض أن أكون ما حلمت طيلة حياتي أن أكونه؟؟ فكيف أقاوم عالم شخصيتي وأفكاري وكياني من صناعته؟! ماذا وإن كان اللا اكتراث هذا أيضًا وهمًا؟! فما بالك لو كان العالم من الأساس يدفعني نحو عدم الاكتراث به؟ أو أنه عالم غير مكترث بي وبوجودي؟! ماذا إن كان اللا اكتراث مجرد مرحلة انتقالية لحالة أشد قتامة أو يمكن حالة أكثر اكتراثًا؟! ماذا إن كانت كل تلك الجدالات بخصوص الهروب هي محاولة بائسة مني لخلق مركزية وهمية حول ذاتي المُرزلة

https://jadidpdf.com

المُهمَلة؟! ماذا إن كان العالم بريئًا وأنا الجاني الواجب محاسبته وعقابه؟! فظلمت العالم وكان الظلم الأساسي منّي..!

"أنت أيضًا تَجرح، تنسى، تستخف بمشاعر البعض، تمشي على قلوب لطالما تمنت أن تمشي معها، وتأخذ الأمور بحساسية أكثر من اللازم، وتتمادى في انتهاكك لحقوق الآخرين، وتسرق أحيانًا، أو قد تكذب، أو ترى صديقًا وتتجاهل وجوده بِلا سبب. فقط تذكَّر ذلك: أنتَ لست دائمًا الضحية، كف عن محاولتك أن تكونها كلما شعرت بأنك أسوأ مما كنت تظن!".. الكاتبة القطرية "هديل غسان"

فأقبح ما يمكن أن يسقط به أي إنسان أن ينفعل على من حوله ويتغافل عن مراجعة نفسه ..فاللا مكترث ليس بطلًا خارقًا أو الكائن الأعلى في سلسلة التطور، ولكنه كأي إنسانٍ، يفشل ويخطئ.. يبكي ويضعف.. يحتاج ويهرب.. يتألم بصدق ويتمنى حتى في سماع أنينه المكتوم! وهذا ما دفعه في الأساس لسلوك اللا اكتراث.. فما تهدف إليه اللا اكتراثية ليس تضخيمَ وهمِ مركزية الأنا أو الانغلاق المقبر على الذات، إنما المراد منها أن تقضي وقتًا أكثر مع نفسك للتعرف عليها، لتحويل كل اهتماماتك وطاقاتك نحوها، ومنها تكون وِجهتك.. تسمع شكواها وترفق بحماقاتها.. تعيش حق الصفاء والشراكة الصادقة مع ذاتك.. وكأنها بمثابة خُلوة مع نفسك عن ضجيج هذا العالم، فربما هي تلك الحقيقة الوحيدة في مستنقع الوهم.. فيقول الأديب "أنيس

https://jadidpdf.com

منصور":

"قررت أن أُمسك نفسي، ألّا أصرخ، ألّا أكون عصبيًّا. قررت ألّا تكون لي أعصاب. قررت أن أكون مثل بيت انقطعت منه أسلاك النور والراديو والتليفون، وحتى عندما تسري الكهرباء في هذه الأسلاك يجب أن تكون فلسفتي هي: أذُن من طين والأذُن الثانية من طين أيضًا..لماذا؟ لأنه لا فائدة من الصراخ، لا فائدة من الغضب؛ فأنا لا أستطيع أن أُصلح الدنيا حولي، ولا أستطيع أن أُغيِّر طباع الناس لكي تعجبني، يجب أن أتغيَّر أنا، لا لكي أعجب الناس، ولكن لكي أعيش مع الناس، حتى لا أصطدم بالناس، أو على الأقل لكي أستريح."

الذعر

"أنت لا تفهم الأمر على حقيقته.. أنا لا يخيفني الفشل، ولا يزعجني ضياع المجهودات سدى، فما هكذا تقاس الأشياء.. هذه مخاوف الأطفال والحالمين.. أما أنا فقد اعتدت ذلك.. لكن ما يرعبني حقيقة، هو اختفاء الرغبة.. هل تعلم ماذا تعني الرغبة لرجل مثلي؟ هل تتخيل أن أستيقظ يومًا ما فأجد تلك النار القلقة في صدري قد انطفأت؟ أو أن يختفي توهُّج عيني؟ أو أن أنظر إلى الناس والأشياء ببرودٍ وكأنني ثور محنط؟.. لا أعد نفسي شخصًا عاديًّا.. ولا يهمني كثيرًا أن يراني الناس

https://jadidpdf.com

كناجحٍ أو فاشلٍ.. إن معظم عالمي يدور داخل نفسي.. ومعاركي أخوضها داخل عقلي.. وإن كان الآخرون رضوا بأن تضيع حيواتهم في مقابل القليل من الحديد والخشب والقماش والذهب الأصفر، فأنا لم أفعل ذلك.. وإن كانت خطتهم تقضي أن يعملوا كعبيد لأربعين عامًا مقابل أن يمضوا شيخوختهم ممططين كفقمات فوق الأرائك فأنا لم أُخلَق لهذا.. ولم أسعَ يومًا للحصول على ما يجب الحصول عليه.. بل ما أحب الحصول عليه.. نعم لقد مررت بالحزن.. لكن الحزن لم يكن أبدًا كهفًا أعتكف فيه.. بل جسرًا أعبره إلى ما سواه.. وإن كنت قد رأيتني محطمًا وبائسًا في لحظات ما، فلم يعنِ ذلك أبدًا أن البحر الذي في داخلي قد هدأ واستكان.. أو أن الريح التي تعوي في داخلي قد صمتت.. إن الحزن ليس نقيضًا للحياة بل هو جزء منها.. وهل بإمكاننا أن نفرح دون أن يكون عندنا استعداد للبكاء؟ هل يمكننا أن نسعد برؤية مولود جديد دون أن نكون قادرين على الحزن لوفاة عجوز؟ أو هل يفرحنا انتشار شذى الأزهار ولا يحزننا جفاف النهر؟.. لقد عشت حياتي كلها ممتطيا حصانَ الرغبة.. موجهًا بصري لا نحو ما أملك، بل نحو ما لا أملك.. حاملًا قلق الصياد الأبدي في قلبي وعيني.. مترقبًا أن يحدث شيء أو أن لا يحدث شيء.. منصتًا لكل صوتٍ، ولكل صمتٍ.. ومحدقًا في كل ما أرى.. ولا يحركني في كل ذلك إلا شبقي.. بالإنسان والأشياء.. لذلك إذا ما رأيتني يومًا ما منطفئًا كموقد مهجور.. أو هادئًا ومستكينًا كساعة حائط.. فلك حينئذ أن تدفنني.. إن انعدام الاشتهاء هو الموت.."

https://jadidpdf.com

(ديك الجن)

الفرق بين إنسان "يحيا" وإنسان "يعيش" هو "الشغف"!
فالموضوع أشبه بشخص جائع وُضع أمامه طعام رديء، سيدفعه جوعه مغصوبًا على أمره أن يلتهم هذا الطعام! ولكن إن كان هذا الشخص في حالة شبع واكتفاء فبالطبع سيرفض الإقدام على مثل تلك التجربة السيئة.. فوقتها الأكل سيكون بالنسبة له مجرد فرصة للتلذذ والاستمتاع.. سيأكل ما يربطه به شغف!.. فالشغف (passion) ليس مجرد اهتمام عابر (Interest) ولكنه رغبة تحمل في طياتها نوعًا مميزًا من الولع والتمني، تدفع صاحبها على اعتناق نوع سحري من المسرات تجاه مصدر هذا الشغف.

فإن الذي يزرع بداخل أي إنسان الشغف هو الامتلاء.. ولكن كيف الامتلاء يدفع نحو الحاجة إن كان الامتلاء هو ما يقضي على الحاجة؟! والحقيقة، إن الامتلاء المقصود هنا هو الامتلاء بالحاجة، ولكن الحاجة في صورتها الأصح!! فالشبع الذي منعَ الشخص من الاتجاه نحو الطعام الرديء ليس هو الشبع المادي في صورته الجسدية البحتة إنما هو الشبع الداخلي لكيان الفرد نفسه! فربما من رفض الطعام الرديء، أمعاؤه كانت بحاجة صعبة لذلك الطعام، ولكن نفسه وروحه ممتلئتان بالحاجة للأفضل.. فذوقه مصمم على الشبع ولكن فقط

https://jadidpdf.com

بالطعام الجيد!

"عند الجوع لا يوجد خبز سيء."‏.. غابرييل غارسيا ماركيز

بينما تقوم فكرة اللا اكتراثية على التحرر من أي خوفٍ أو ذعرٍ ممكن أن يحد من سلطة وقوة هذا اللا مكترث، ولكن هناك ذعر وحيد لربما لم يتمكن اللا مكترث من التغلب عليه وهو ذعر فقدان الشغف! فمن أهم أساليب العالم المستخدمة لمناهضة تفرد اللا اكتراثية هو فرض حصار نفسي واجتماعي لتجويع اللا مكترث ودفعه دفعًا عنيفًا نحو الخبز السيء! وهذا ما يعتبره اللا مكترث كابوسًا ويخشى سقوطه فيه.. فيدخل اللا مكترث في معركة مع العالم بقمعه وإجباره نحو تشويه رغبته إما بالتحقير أو الإدمان.. فإن أخفق اللا مكترث وأخذ من الرغبة ما أخذَ العدو فعذَّبها بنار التحقير واللا مبالاة، نال منه العالم وصبَّ في ذوقه سمومه فأفسد في روحه إبداعاتها وانطلاقها في فيض الحياة.. وإن صار عبدًا لها وفقد بهار الشغف، باتت حياته باهتة منزوعة المذاق.. منعدمة القيمة والمعنى..!

فكما يتراءى أن هناك معارضة تأصيلية بين رغبة الشغف ولا مبالاة اللا اكتراث.. ولكن من يستطيع الحفاظ على التوازن الحقيقي بين

https://jadidpdf.com

الرغبة الجياشة واللا مبالاة الزاهدة فبذلك يمكنه بشكل ما أن يعيش منتصرًا لنفسه غالبًا هذا العالم؛ ففي حياته يعيش غير مهتم بالسطحيات، ولكن في أعماقه مازال يؤمن بأهمية الجوهر.. لا يسعى مشدودًا نحو مصلحة أو نفع مادي، ولكن روحه تطوق شوقًا لقيمة خالدة أو عاطفة حية.. لا يفرض نفسه على الحدث، ولكن لا يقبل باجتثاث كينونته من الوجود.. لا يلهث وراء الاجتماعيات الفارغة ولكن يغرق في حب بلهفة وشغف.. فيحلم ولكنه لا يسجن في حلم.. يعيش الواقع ولا ينغرس في تفاصيله.. يأكل الخبز ولا يعبده..

لعنة الإبداع: الصحوة

"لا يملكون شيئًا.. لذلك لا يمتلكهم شيء".. " محمد المنسي قنديل"

يخطئ من يظن ان اللا اكتراثية تعني عدم الاهتمام في المطلق أو أنها حالة من البلاهة الوجودية التي يمر بها فرد مغيب اجتماعيًّا وعقليًّا! فالحقيقة أن اللا اكتراثية هي صميم الاهتمام المنتقي؛ حيث أن مضمون قوة الإنسان يقاس بمدى قدرته على التحكم في مجريات الأحداث، واللا مكترث يصل لقناعة ذاتية أن ليس كل الأحداث عليه أن

https://jadidpdf.com

يعيرها اهتمامه، فهناك ترهات يستوجب على الحكيم الانصراف الكلي عنها بل وتجنُّبها.. ومن تلك اللحظة تبدأ رحلة الاكتراث بالجوهر من قلب اللا اكتراث بالسطحيات..

"- أن تكتب يعني أن تفني عمرك في محاولات تائهة لشرح ذاتك للآخرين، الآخرون هم الناس الذين لا يأبهون بك أصلًا، فإنهم يستغلون محاولاتك تلك لشرح ذواتهم من خلالها.

- أنا أجد الكتابة تفريغًا مقنّنًا للعاطفة التي بدأت تؤذينا.

- بل هي هدرٌ لها. لو أجدت التعامل مع هذه العاطفة لربما صنعت لك شيئًا حقيقيًا بدلًا من بيعها للأوراق.

- لماذا لا تكون الكتابة محاولة لشرح الحياة نفسها؟

- مَن يأبه لشروحاتك؟ كلّنا يصرُّ على فهم الحياة من ذاته فقط. لا أحد يثق بعيون الآخرين. ستفهم وحدك، ولا أحد يقتنع بك، ماذا تستفيد؟ إذا لم تكتب ما يمتّعهم ما قرأوا لك، لماذا تحرق عواطفك لإمتاعهم؟

- لم أفكر في إمتاعهم، أريد أن أتوازن فحسب، يا ديار إما أن نبدع، وإما أن نُحدث في أجسادنا مئات الثقوب حتى يتسرَّب منها الحزن، لا أحد يريد أن يتضخَّم بلا معنى.

- ستعيش وحدك، وتموت وحدك.

- مثلما لو عشت معهم، ومتَّ معهم، لا فرق." من رواية (سقف الكفاية)

https://jadidpdf.com

للكاتب السعودي "محمد حسن علوان"

ففي النهاية الشخص "اللا مكترث" يجعل من عدم اكتراثه حصنًا منيعًا يعزل بها نفسه وحياته.. ولكن كما يمكن لهذا الحصن أن يمنع دخول العدو لداخل المدينة أيضًا يحبس أهلها بداخلها ويمنع عنهم التزود بالغذاء والتمتع بهواء الحرية المنعش.. فالحروب والصراعات الكامنة في عقل "اللا مكترث" تصنع من عقله قنبلة مستعدة للانفجار.. كمية غير طبيعية من الشحنات السلوكية والإنسانية.. طاقة مخزونة من الوقود النفسي والفكري قادرة على تحويله لمهووس أو مجنون! لربما مقدم على الانتحار كوسيلة وحيدة للحد من ذلك الصخب!! وهذه هي لعنة الدخول لمخبأ الجوهر الإنساني.. ضريبة الغوص في أعماق النفس البشرية.

سنة 2012، أصدر الكاتب الأمريكي Christopher Zara كتابًا بعنوان Tortured Artists (الفنانون المعذبون) يتحدث فيه عن العلاقة الوثيقة بين ألم الفنانين وبين إبداعاتهم.. فألم الانفصال سواء خلقه الفنان لنفسه أو تم دفعه نحوه.. هو ما يجعل الإبداع صامدًا وبراقًا، فالإبداع يبدأ من شخص حطم قلبك أو صديق غدر بك، مجتمع ظلمك أو موت وجد ضالته فيك، حتى تيأس من العالم والناس فتغرب بكيانك عنهم وتلجأ إلى نفسك حتى تفهمها وتفك ألغازها.. فالحل وقتها يكون الإبداع.. وكأنه المنفذ الوحيد للتفريغ!.. فإما أن يبدع ويحرص على وجود بصمة ذاتية مميزة معبرة عن ما يضمه من مشاعر واستبطانات.. أو

https://jadidpdf.com

يتضخم بلا معنى نحو الهاوية.. وتلك لعنة "اللا مكترث".

فهدف الإبداع بالنسبة للَا مكترث ليس لرسم هالات الشهرة أو للفت أضواء الانتباه بل هو بمثابة صرخة وجودية أو صحوة كيانية جديدة! تحمل ترددات انفعالات حالات إنسانية خاصة لهذا اللا مكترث تجسدت على هيئة هذا الإبداع، هو بمثابة سبيل للنجاة من تلك اللعنة.. ليقول الكاتب "كريس أبو زيد" في هذا الصدد:

"الحياة بطريقة صحيّة وآمنة أفسدت الأدب.. لماذا؟.. لأنه مع كل صيحة جديدة من صيحات الحفاظ على اللياقة والصحة -الحمية، حصص اليوغا، الفيتامينات، وجلسات التأمُّل والتعافي- مع كل كاتب إضافي يهتم بصحته، يسقط الأدب في حفرة عميقة من السوء والفشل. ألم نتعلم شيئًا من محاضرات الأدب التي تلقيناها عندما كنّا طلابًا؟ هل نملك ذاكرة متعجرفة إلى هذا الحد، لدرجة نسياننا للعوامل المهمة التي تصنع أعظم الكتّاب؟ البؤس. العذاب. اليأس. وليس الإندروفين وهرمونات السعادة ..فكّر قليلًا. هل كان بإمكان كافكا أن يكتب "المسخ" لو كان مشغولًا بتناول وجباته الصحيّة والتمرّن يوميًّا لماراثون ما يريد المشاركة به؟ هل بإمكان "ڤيرجينيا وولف" أن تكتب "إلى المنارة" لو كانت تذهب إلى حصص الزومبا، وتخلط عصائر الفواكه كل صباح؟ لا. الحقيقة هي أن الأدب العظيم يحتاج إلى معاناة عظيمة.. الآن، يقف بعضكم في هذا العالم ويقودهم التفكير أنهم قد ينجحون في كتابة الرواية المذهلة القادمة التي ستدهش الجميع.

https://jadidpdf.com

ولكني سأختصر عليك الطريق، لن تتمكن من فعلها -خاصةً إن كنت تتبع الوصفة الأمريكية للصحة والسعادة. ما يجب عليك فعله الآن هو أن تدع ذاتك الطفولية جانبًا وتتصل بروحك المعذبة بدلًا منها.. فاذهب الآن، واجعل من العذاب ربّة إلهامك."

وكأن هناك علاقة وثيقة بين قوة إبداع الإنسان ومدى لا اكتراثه وانعزاله وألمه! وذلك هو الرهان الحقيقي على جوهر "اللا مكترث".. فهل ستكون نهايته في الظلال دامعًا على حاله مندفنًا في قبور الندم، أم سيكون كسيف باتر في قلب هذا العالم البارد وضمير المجتمع المخدر؟!.. هل سيقضي أيام حياته كبقايا إنسان يلجأ للنوم ليهرب من عبء وجوده أم سينتفض كطوفان كاسح يعلن بثبات عن مغزى فكره وصُلب وجوده؟!.. فليس المطلوب منه أن يتماشى ضد طبيعته أو ينخرط في حلقات التفاهة الاجتماعية، إنما يوظف أحساسية وأفكاره نحو الأفضل، فينطق الحق من أجل الحق! يحب لأنه يؤمن بجلالة هذا الحب.. يصلي لأنه في حاجة لحوار خاص مع الله، فلا يصلي لأنه حان ميعاد الصلاة أو ليشارك أصدقاءه تقليدًا دينيًّا معينًا ملتقطًا الصور و الذكريات!.. ينتقم من الفساد.. من الغش.. من الروتين.. ليس بدافع الانتقام الشخصي قدر ما هو خَلْقٌ حياة بديلة منبثقة من أجواف روح هذا اللا مكترث، يهتم فقط لأنه وجد ضالته أخيرًا وينفر ولو كان العالم كله يدفعه جبرًا بالاهتمام.. فيقرر الاكتراث بمعنى، وأيضًا عندما يختار اللا اكتراث يختاره بمعنى!!.. ليستخدم كل خلايا مخه

https://jadidpdf.com

ومكنونات ضميره لابتكار نموذج حياته الخاص غير عابئٍ برياء منافق أو ضغينة حاقد أو امتعاض جاهل، إنما فقط بما يحمل بين طيات قلبه وخبايا نفسه.. فلا يمكن أن يحدث هذا التطور أو تولد تلك الصحوة من وسط بشر سعداء بالموجود وراضيين بالمتاح، إنما السر في المنعزل، في المنبوذ، في "اللا مكترث" بالحالي والقائم.. إنما عيناه وأحلامه نحو عالم آخر..!

فلا يوجد سبيل لمواجهة ذلك الصخب الوجودي والإرهاق الذاتي إلا بالإبداع.. الإبداع المجرد من أي زهو شخصيٍّ أو أي تمجيد اجتماعي.. فكما الطاقة، لن يختفي الألم أو تنتهي العزلة.. إنما ستتحول من صورة إلى أخرى.. إما صورة حية صارخة بكل مكنونات "اللا مكترث".. أو صورة بائسة جامدة معلَنة عن هزيمته وسط طنعات العالم.. فيقف عموم الناس مندهشين من إبداعات هذا اللا مكترث، متخيلين مدى صعوبة إنتاجها.. بالرغم أنها تكاد تكون بسهولة عملية تنفسه للهواء أو إدراكه لألفاظ الكلام، والحقيقة أن الصعوبة ليست في إنتاج الإبداع نفسه قدر ما هو الدافع الذي تراكم وانفجر في قلب هذا المبدع ليخرج كل هذا السِّحر والروعة من قلب الألم والمعاناة..

فهكذا تُكتَب شهادة وفاة الإنسان القديم لتسجِّل شهادة ميلاد.. اللا مكترث..

https://jadidpdf.com

تيار اللا اكتراثية

هل يمكن أن تكون اللا اكتراثية تيارًا؟؟ هل يمكن أن تكون أيدولوجية عامة ينتهجها شريحة واسعة من الناس، فيكون هناك إمكان لقاء للّا مكترثين يتشاركون فيها أفكارهم وخبراتهم؟! هل يمكن أن يقيم اللا مكترثون جزيرة خاصة بهم تبعدهم عن سخافات وحماقات العالم كمجتمع اليوتوبيا الأفلاطونيّ؟!

من منظور نفسي بحت، يبحث الإنسان عن من يشبه في الفكر والرؤية.. فيجد فرصة رائعة للتواصل البسيط والسهل معه، كأنه شخص يتحدث لغتك في بلد أجنبية! فهكذا يرى اللا مكترث أخاه في اللا اكتراثية.. فالاثنان رفضا تفاهة المجتمع ومنطقه الضيق وقررا الانزواء بعيدًا عنه باحثين عن المعنى الحقيقي لوجودهما، فتعمقا في الإحساس وغرقا في معاناة الشعور.. ولكن مع كل ذلك يشعر كل لا مكترث أنه كيان قائم بذاته يختلف كل الاختلاف عن أي إنسانٍ آخر حتى ولو كان لا مكترث مثله! فلا يوجد ميثاقٌ موحَّد لكل اللا مكترثين، لكن تجارب مختلفة يعيشها كل إنسان بطابعها المتميز.. فالبرغم من اتفاق الفكرة والمنطلق إلا أن التجربة والدافع ليسا ثابتين، ليقول "سيروان" عن نفسه:

"لا أحد اقتنع مثلي بتفاهة كل شيء، ولا أحد تعامل مثلي بمأساوية

https://jadidpdf.com

مع كل هذا العدد الهائل من الأشياء التافهة".. والحقيقة أن هناك كثيرين اقتنعوا مثله، وربما تعاملوا بأقسى مأسوية من سيروان، ولكن يبقى التفرد العنوان الأسمى للّا اكتراثية..

فاللا اكتراث عالم متداخل من التناقضات الإدراكية التي تتبلور في

ذات الفرد الواحد لتظهر في سلوكياته اليومية بكل تحرر وتلقائية..

فقضية اللا اكتراث ليست في السلوك الشخصي فقط بل في الأفكار

التي تعكس هذا السلوك، فاللا مكترثون لا يهدفون لنشر مذهبهم اللا

اكتراثي كما يفعل أصحاب الدين الواحد أو يطمحون لعزو العالم باسم

إقامة دولة اللا اكتراثية؛ لأنهم ببساطة لا يأبهون بالعالم أصلًا!! إنما

أفكارهم تعلن عنهم بعنفٍ وسط صمت حياتهم وعزلتهم الطواعية..

فتيار اللا اكتراثية لا يعتمد على عددٍ جسديٍّ إنما يستمد قوته من

https://jadidpdf.com

ثورية القيم المولود منها.

"منذ ذلك المساء، كل شيء تغيَّر بداخلي، أحدٌ حل فيَّ من جديد،

شملني فجأة تطهير داخلي مثل غرفة كان أحد يعيش فيها. عادت

بغتة عقارب الساعة على الجدار، التي توقفت منذ شهور للاشتغال.

كان ذلك مهمًّا: فالوقت الذي كان حتى ذلك الحين يمر مثل تيار لا

مبالي، من فراغ إلى فراغ آخر دون معالم ولا محددات قياس، أخذ

تدريجيًّا يسترجع وجهه الإنساني، فبدأ يتشكل من جديد ويتناقص."..

"ميلان كونديرا " - رواية (المزحة)

فاللّا اكتراثية يمكن أن تتجسد في تيار نفسي فكري، ولكن لا يمكن

https://jadidpdf.com

أن تنحصر في كونها موضة عابرة تبحث عن سَبقٍ صحفي أو نمط

محدود بمكان أو زمان منتظر موته بتجديد أو تحديث، بل هي أسلوب

حياتي كامل يعيش في اللا مكترث وليس مجرد يعيشه اللا مكترث!..

يعيش في أعماق زوايا روحه ويتعلق في قاع أفكاره وتخيلاته.. كنجمة

تلمع كلما زادت كحالة السماء أو لحن برز كلما اخترق حواجز الهدوء

والسكون.. فاللا اكتراثية تقوى في البرد، حيث تتوهج داخليًّا لتدفئ

نفسها، أما عن الزحام فيسلبها مقاليد قوتها لتفتر في ذوبان العالم

وتفقد ملامحها الذاتية.. فربما اللا اكتراثية كبذرة سقطت على سطح

نفس الإنسان وأخذ يرويها بماء الحكمة والتسامي، يحميها من طيور

التطفل وغربان النميمة.. ولكن إن لم يحرص على غرسها عميقًا في

https://jadidpdf.com

طين كيانه المعقد لن يظهر لها جذر يربطها في باطن نفسه..

البداية..

يمكنم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية على موقع جديد بدف

https://jadidpdf.com